

لعبة الوعي
قصص قصيرة
محمد الميالي



الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
موسوعة توثيق إرهاب القاعدة وداعش في العراق
٢٠٠٣م - ٢٠١٧م

الإشراف العام:
اللجنة العليا لموسوعة توثيق إرهاب القاعدة وداعش في العراق
مركز بيّنة للأمن الفكري والثقافي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
()

البريد الإلكتروني:

WWW.BAINA.COM

العراق: كربلاء المقدسة

الطبعة الأولى ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

حقوق النشر محفوظة للأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

التصميم والإخراج الفني:

م. زهير الجبوري

لعبة الوعي

قصص قصيرة

محمد الميالي

صرخة طوز خور ماتو

في غفلة من الزمن طرقت الغربان السود أبواب الحياة لتبعثر الرعب في أروقة النبض، وفي حينها قلت: ياترى كيف لي أن أرى ما لم يره أحد غيري، وكيف لي أن أعيش في لحظة ما بين الحقيقة والخيال، وأي ردة فعل سيستحضرها العقل المستفز؟ هكذا خيل لي وأنا في سكرة النوم، وحين صحوت رأيتهم كطيرة الدبا يجوبون الأمكنة ويلتهمون كل شيء تراه أعينهم الحمراء وكل ما ورائهم خلفه يبابا لا حياة فيه.

أنياب وحوش تقضم أجسادا وتقطر دما في كل مكان يسجد فيه المؤمنون على أديم الأرض التي خلقوا منها ويعودون إليها، البحث دائم عن الفريسة في مدينة (طوز خور ماتو) من المكون التركيبي ومكونات أخرى تقطن معه ليتلذذوا بسفك دمائهم بطرق شتى. بتاريخ ٢٢/٦/٢٠١٦ تحديدا تفجرت سيارة مفخخة في منطقته جميع أزقتها مغلقة بواسطة الحواجز الحديدية

التي وضعت من أجل إعاقة دخول المفخخات، ولكن عند دخول مركبة النظافة دخلت معها المفخخة وكان يتحكم بها إنتحاري، وهنا اختلطت كل الأشياء مع بعضها وفقدت هويتها. وأنا في ذروة الذعر والرعب والارتباك سقطت في حجري كرة صغيرة لم ألتفت لها حتى سكنت على الأرض. كل الأشياء التي حلقت بسبب قوة ذلك العصف، نظرت الى حجري لأزيل ما فيه وإذا به رأس طفل رضيع لا يتجاوز عمره الستة أشهر، شخصت عيني به أحرق في ملامحه ونحره القطيع الدامي، في تلك الوهلة خُيل لي في لحظة أي في وهم، كأن العقل دار في مدارات مختلفة كما دار بي الزمن دورة كاملة، حملته وهمت به دون وعي لا أدري الى أين أنا ذاهب. في لحظة ما استعدت ذاكرتي قليلا وبطأت خطواتي كأنني اكتشفت شيئاً ما، توقفت وأعدت النظر الى الرأس وإذا به رأس ولدي (عبد الله)، جثوت على ركبتي ورفعته بين يدي وتوجهت به نحو القبلة، وقلت ربي خذ حتى ترضى... خلعت ما تبقى من ثوبي الذي مزقه العصف ولففت به الرأس وعدت أبحث عن أمه في مكان الانفجار، لم أجد سوى كف فيه خاتم كانت قد كتبت عليه أسمي، شعرت بالضياع

وليس أمامي سوى الهجرة الى بلد آمن بعد أن فقدت كل شيء .
بقيت على تواصل مع من بقي في المدينة أتقصى ما يحدث
وأسمع منه أنباء الموت والدمار التي لحقت بالمدينة وأهلها، أكثر
من عملية تفجير بين سيارة مفخخة وانتحاري يفجر نفسه وسط
الناس في الأسواق والجوامع دون رحمة. وفي نهاية عام ٢٠١٣
احتضن أحد الشباب انتحاريا عند باب أحد الجوامع وانفجرا
معا، أستشهد من أجل أن لا يموت كل من في الجامع .

في صبيحة يوم دامي آخر جاؤوا برأس وعلقوه على باب داره
وأمام مرأى عيون الناس، لم يعرف من هو حتى أزيل ذلك الدم
عن وجه الشهادة، انه (أمير) المغيب منذ يومين، والذي لم يعد
بعد أن ذهب الى عمله إلا أن السكين كانت هي الحكم بين رأسه
والجسد. ذبح كما يذبح الكبش وبتشف غريب، ليعيدوا مشهدا
من مشاهد الرعب وسلسلته التي لا نهاية لها، وفي الحقيقة كلهم
أصبحوا وحوشا، وكان زمن قطع الرؤوس قد عاد من جديد
بنسخ متعددة، و لكن هذه المرة تُعلق على أبواب الدور بعد أن
يجوبون بها الشوارع. سمعت أمه هرجا عند الباب وحين خرجت
بخطى متسارعة، نظرت حيث وقع نظر الناس التي تجمهرت

بعيون أغرقت دمعا ورعبا، فرأت رأس ولدها معلقا وعينيه غافية، صرخت صرخة مشكلة وضجت معها الناس واحتضنته تريد أن تنزله، تلقت سوطا على كتفها، وقائل من خلفها يقول: أتركه فقد صدر الحكم به بأن يعلق ثلاثة أيام دون تغسيل ودفن، وأردف عليها بسوطه مرّة أخرى وأمرها بأن تدخل الدار وإلا تؤخذين سبية، فسكنت قليلا وتصفحت وجوه الناس ثم قالت: الموت لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة، فلا تخيفني بالسبي يا حفيد الطلقاء، فاستشاط غضبا وأمر بسبيها بعد أن أوجعها ضربا بالسوط على متنها.

أدخلوها على أميرهم (الشيشاني) وحين نظر بوجهها قال: تبا لكم ماذا أصنع بإمرأة غزاها الشيب وعبث بمحاسن وجهها الكبر، ألا تأتون لي بحسنا تطرب لي الكأس وتطيب لي المزاج، خذوها لتخدم مع الخدم. التفت إليه بنظرة شجاعة قائلة:

الحقيقة ظامئة وقدح الإنصاف من رمل، في زمن أصبح الغرباء الأجلاف يتحكمون بحرائر المسلمين، وجلس القروء أمثالك على دكة الحكم ليتحكموا بنا وهي تشير بإصبعها نحوه،

فنهض غاضبا وأمر حاشيته قائلا: أحرصوا لسانها الوقح هذا بقطع رأسها ورميه في أحضانها هناك في الوادي لتكون مأدبة للضباع.

فقالت له وهي في كامل عنفوانها ولم يخيفها ما سمعته منه: أعلم أن هذا الغروب الذي نعيشه الآن هو آية الحياة التي تذكر بالنهايات، ولكل منا نهايته التي يستحقها أو يختارها، فوالله اخترت لنفسي الشهادة لألتحق بولدي الشهيد عند مليك مقتدر أشكو إليه ما نزل بي، وتلك الخيارات التي يجبها الله ورسوله وأهل بيته الكرام صلوات الله عليهم أجمعين، أما أنت فانتظر هلاكك الموعود كما هلك جدك بن مرجانه لعنه الله، وحتما ستنال جزاؤك بإذن الله تعالى لتسوق الى نار الله الحامية.

الحبل السري

في هذا المكان المشحون بالآلام وتأوهات الجراح، حكايات نازفة عبر الأزمنة، إلا أن حكايته الأخيرة والتي كالعادة تتحدث بألسنة ثلاث وقد جاءت تقطر دما بصور مختلفة، وأرواح (ألفي شهيد ما زالت تحلق هنا كأنها غمامة حبل تمطر شرفا وكرامة على هذه الأرض، وسبعة آلاف آه تردف آه في ذاكرة كل جريح نرف دمه ظلما وجورا، وسبعمئة وخمسين صورة تروي للمارة حكاية العصف المدمر الذي تحدثه المفخخات والقصف بالقنابل من عدة جهات، وكل منها تمثل صورة أنقاض منزل مهدم وألف حسرة وحسرة تبحث في كل الأمكنة عن مئات المخطوفين والمغيبين، خطفهم المتسابقون على قطع الرؤوس لينالوا بها رضا أمرائهم من أمراء الجور.

في ليلة كان فيها الضباب مخيما على أجواء مدينة (طوز خور ماتو) خرجت على عجل أبحث عن قابلة مأذونة، أو حتى غير

مأذونة لتتخذني زوجتي وحملها، فقد عجزت والدتي من أن تفعل شيء، وآلام الطلق تصرخ في كل أرجاء البيت، مررت من أمام المستشفى رأيتها مقفلة بأمر (سيد العصابة) الداعشي المطاع أمره من قبل أطراف تمثل ثقلا في المدينة، رغم أن أميرهم هذا غريب ولا يتكلم بلسان سكنة أهل المدينة بتعدد ألسنتهم، حاولت أن أغير مساري وأواري نفسي عن أنظارهم المشحونة بغضا وكرها لنا نحن التركمان تحديدا لأسباب طائفية قدرة، ورحت أجوب الطرقات وكأني أسير في مدينة أشباح، أخذني الطريق الى حيث لا أدري، وأنا في ذلك التيه والضياع جاءت سيارة تكسي، أوقفته وطلبت من سائقها أن أستأجره لأبحث عن قابلة تساعد زوجتي على الولادة، لم يعارض وأخذني الى بيت قابلة هو يعرفها، وقد وافقت القابلة هي الأخرى بعد رجاء وتوسل طويل.

سمعت صرخة الوليد وأنا في قمة القلق والتوتر، ولحقت بها صلوات على محمد وآله من قبل والدتي، وفرحت إلا أنني في حالة ارتباك، وبعد أن تمت كل إجراءات الولادة، طلبت القابلة أن أعيدها الى بيتها فورا، ولأنني أتخذت إجراء مسبقا وأتفقت مع سائق التاكسي أن ينتظر بعد ان أغريته بالمال، وتمت إعادتها الى

دارها بسلام، ولكنها حذررتني من أن أنقل زوجتي الى أقرب مستشفى لأنها تحتاج هي وطفلها الى رعاية خاصة وإنما تعاني من نزف. وفي طريق العودة حاولت إقناع السائق أن يساعدني في حمل زوجتي وطفلي الى المستشفى في بغداد، وبين رقة قلب وطمع في المال المبالغ به من قبلي كأجرة له تمت موافقته رغم أنها مجازفة، وفعلا حملتها وطفلها وسلكنها الشارع العام، إلا أننا جميعا في قلق ورعب كون الشارع شبه خال من مرور السيارات.

في منتصف الطريق كانت المفاجأة حيث أعترضتنا مجموعة من عصابات داعش الإرهابية وأوقفت السيارة والسلاح موجه علينا من عدة جهات، فقلنا لهم أن لدينا حالة صحية خطيرة وعلينا أن نصل بأسرع وقت الى المستشفى، وشرحت لهم الحالة فضحك أميرهم بسخرية ثم قال: أنتم تركمان أليس كذلك، لسانكم يدل عليكم، أين الوليد الجديد، كان الأولى أن نبقر بطون الحوامل قبل أن تلد ونقطع هذا النسل الى الأبد، فشهقت زوجتي شهقة خافتة وحين التفت لها رأيت رقبتها ملتوية على كتفها، ثم أمر أحد جلاوزته بفتح الباب الخلفي للسيارة وسحب الوليد من حجر والدتي التي رافقتني والتي صدمت هي الأخرى لما يريده

هذا الزنيم، وفعلا سحب الطفل بعنف وحمله وكأنه يحمل كيس لحم أخذه من الجزار مع صرخة والدي المتقطعة خوفا ورعبا، وآخر فتح باب السيارة وأخرجني بعنف وهو يقول: إنزل أيها المرتد، نزلت وقد إسودت الدنيا بعيني لعلمي بما سيؤول له الأمر مع وحوش لا تعرف الرحمة مطلقا، ثم أخرجوا والدي وأسقطوها على الأرض لأنها قالت لهم اتقوا الله ما هذا الظلم المرأة تنزف بسبب الولادة.

لم ألتفت الى حال زوجتي حيث خدعني صمتها وعدم حدوث أي ردة فعل منها إلا بعد أن سحبها أحدهم من السيارة وهي جثة هامدة غارقة في دمها الذي اشتد نزفه بسبب الرعب والصدمة التي تلقتها حين خطفوا منها وليدها، ثم حمل أميرهم الوليد بيده اليسرى الى الأعلى وسحب مسدسه في اليمنى وأطلق عليه رصاصة ذبحته من الوريد الى الوريد أمام عيني فصرخت بأعلى صوتي يا الله، في نفس اللحظة وجه مسدسه نحوي وأطلق النار، فهويت على الأرض.

بعد إغماءة طويلة وجدت نفسي في مستشفى الكاظمية في بغداد وبالقرب مني والدي، وعلمت منها أني منذ ثلاثة أيام هنا،

وأن العصابة الداعشية بعد أن هويت على الأرض غادروا المكان بسرعة وتركونا صرعى، بعد أن شاهدوا رتلا عسكريا قد أقبل من جهة العاصمة بغداد، لم أسألها عن زوجتي وطفلي لأنني أعلم أنهم استشهدوا فعلا ويئست منهم في حينها، عدت أنا وأممي بخفي حنين كما يقول المثل، بعد أن شفيت قليلا وزال الخطر كون الإطلاقة في صدري من جهة اليمين وقد هشمت أحد أضلاعي وأحدثت تمزقا في الكبد وحالات أخرى، وعند وصولنا لم نجد الدار فقد تحولت الى خراب وكل ما فيها تحت الأنقاض بعد أن انفجرت أمامها سيارة مفخخة، فيما تسببت بهدم البيوت المجاورة، واستشهد العشرات من بينهم أطفال ونساء.

بعد كل الذي حصل لم يكن أمامنا سوى الرحيل، فقررنا الهجرة الى مدينة كربلاء، وهناك تلقينا العناية والرعاية التامة، حيث سكننا في مكان آمن مع توفير كل ما نحتاجه، بقيت حرقه الفقد للأهل والمال في قلوبنا كالجمر لم تبرد حتى صدرت فتوى الدفاع الكفائي، وتحررت المدينة من مخالب تلك الوحوش بسواعد الرجال من أبناء القوات الأمنية الوطنية وقوات الحشد والأهالي.

رغيف خبز

أردت أن أكتب عنها قصيدة وأقول فيها ما لا يدركه القلم
وما ينبغي له، ولكنني عجزت لأنني لست بشاعرة، ولأنها هي كما
هي ما زالت تنبض بي، هي أمة تنجب أمة، كنت أرى بين يديها
محراب عبادة، وعلى جبينها تشرق السعادة، وعلى جيدها يشكل
التسييح فلاة، هي سنبله قمح تيس حبا وحنانا، هي رغيف
خبز ويبرق عز وشرف وكرامة، هكذا كنت أرى أمي، كانت
تشرق كالشمس كل صباح وتقدم لنا على راحتها الخصب ثمار
حانية، كنت أرى الحياة نهرا يجري تحت قدميها، كل شيء هي.

في ذلك اليوم وأنا بنت في الخامسة من عمري، وبعد أن
تغذيت بعطائها الثر ذهبت الى البستان وهي تحمل المجرفة
والمنجل، وكنت دائما أقول لماذا تلبس أمي ثوبا أسودا، وكل ما
تقتنيه من ملابس هي سود، لم أعرف أي فقدت والدي وأنا بنته
البكر في سنتي الثانية، لم أكن اعلم أن والدي خطفته عصابات

القاعدة مع رفاقه الأربعة وهم في الطريق الى زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وقد مثلوا بأجسادهم وهم أحياء، ثم ذبحوا بالسكين، ليرتقي ذباح كل واحد منهم الى رتبة أمير، هكذا كانت تعتقد عقولهم المجردة من كل شيء، وبعد أيام أخبر أن جثثهم في العراء وذهب الأهل لتجهيزهم ودفنهم، وكان المنظر كما وصفه البعض بعد حين مرعب وطريقة التمثيل بهم تصدع الحجر.

مازلت أردد في نفسي ياليتها لم تخرج ذلك اليوم الى البستان، لكنها خرجت بالهمة المعتادة نفسها في كل يوم، وكأنه قد خرج معها كل شيء في ذلك اليوم المختلف، خرج الحنان والطيبة والدلال والسعادة والأمل والابتسامة، خرجت ولم تعلم أن هناك عين من وجه كالح تتربصها، وأيدي سوداء قد نصبت لها مصيدة تخطف منها ومني كل شيء، وكنت كالعادة أفق عند الباب وعيوني ترافق خطواتها وهي تسير وطولها يخبر عن ما تحمله من سوؤدد في محياها.

في لحظة ما من بين تلك اللحظات التي تنعشني ابتسامتها وأنا أنظر لها فجأة طارت كأنها بخار ولم أرى سوى عصف ولهب ودخان، وهرع الجميع صوب المشهد المرعب ذلك وتلك

الصعقة الصوتية التي أصمت أذني، لم أفهم ما حدث بالتحديد، هوت كل الأشياء التي حلقت في الهواء عائدة الى الأرض إلا أمي، الكل وصل إلا أنا تسمرت في مكاني الذي كنت أرقب منه أمي وهي تتناثر أمام عيني في مشهد لم يفارق عيني طيلة حياتي حتى عند النوم يأتيني على شكل كوايس، والكل كان يصرخ ويركض ومنهم من يمر من جانبي ويرميني في نظرة غريبة لم أعهد لها من قبل، ولم أعرف ترجمتها وماذا تعني في حينها، ومنهم من يريد أن ينشغل بي ولكن هناك أمر فضيع أهم لا بد أن يصل له، هكذا خيل لي ما يحدث أو هكذا فهمت رغم الفزع والرعب الذي عشته.

أنتهى المشهد الأول وبدأت الناس تتجمع من كل صوب وأنا ما زلت في ذلك الكابوس الأسود لا أدري ماذا أفعل، كنت واقفة وعيني شاخصة صوب الجمع، ثم بدأت أسمع صراخ النسوة وبكاء وكلام يتداخل ببعض لا أفهم منه شيء، سوى جمل معينة وهي: «لا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل». وجملة سمعتها أسقطتني على الأرض وهي «رحمها الله» لا أدري لماذا فعلت بي هكذا رغم

صغر سني، ولكنني ما زلت أتذكر ذلك الموقف بكل تفاصيله، بعد ذلك عادت الناس وبعضهم حملوا صرة من القماش وهم يكبرون ويوحدون الله والحزن يخيم على الجميع، وكنت أبحث عن أمي بينهم فلم أرها، وأنا جالسة على الأرض كنت أميل رأسي يمينا وشمالا أبحث عنها، وكانت في تلك الصرة ولا أدري، وكل من مرّ من جانبي نظر إلي بنظرة كأن عيونهم تنبؤ عن شيء، أو تريد أن تخبرني بشيء، وأخذهم الطريق الى بيتنا ودخلوه دون استئذان ولم يترقوا الباب، حتى وصلت لي جارتنا واحتضنتني وهي تبكي بشدة وبعبرة تكسرت في صدري كما تكسرت في صدرها، شعرت ودون أن تخبرني أن أمي هي من بعثت جسدها تلك العبوة الناسفة التي نصبت لها في البستان، ثم تجمهرت النسوة حولي وقد أجهشتُ بالبكاء وأبكيت كل من حولي، اصطحبتني جارتنا وهي تمسك بي حيث أحاطت بذراعها على كتفي وأخذتني الى الدار.

هذا ما خزنته ذاكرتي بعد أن أفقت وقد ربطت جسدي بأجهزة طبية منذ ستة أيام مضت، هذا ما عرفته ممن اعتنى بي وأخذني الى المستشفى والرقود في العناية المركزة، وسمعت في وقتها كلام

أحدهم وهو يقول: الحمد لله فاقت وإن شاء الله خير، ثم تحسنت
حالي، وعدت باكية، وشعرت باليتم حينها، وعشت قساوة
الفقد بطريقة لا تطاق، تكفلت خالتي برعايتي وهي الأخرى أم
ليتيمين ولد وأسمه علي وبنت وأسمها زينب يكبراني في العمر،
علمت بعد حين أن والدهم ذبح مع أبي في تلك الفاجعة الأليمة،
عشت معهم بحب وحنان ودخلت المدرسة وأنا بعمر تسعة
سنين بسبب تعطيل المدارس في مدينة بلد، ولم تفتح حتى تحررت
المدينة من تلك الوجوه القبيحة، وغادرتها الأرواح الشريرة
بسواعد رجال العراق الشرفاء.

دونت هذه الحكاية التي ما زالت تنزف ألما وقد أعادتني الى
الخامسة من عمري وكأن الحادثة للتو وقعت، وكل حرف كتبه
هنا كنت أسمع تأوّه كأنه يريد أن يشعرني بما أمليت عليه من
آلام جراحي التي لا ذنب له فيها، أو إنها شيء من ذلك اللحظ
المثير للعاطفة الوجودية، وأظنها الأخيرة، كيف لا وقد أبكت
جرائم عصابات القاعدة وداعش الحجر والمدر.

كرة قدم

في مدينة (طوز خور ماتو) المدينة الأكثر تعرضاً لإرهاب عصابات القاعدة وداعش، كنت أنطلق بدراجتي الهوائية كلما سمعت انفجاراً وروحي هي من تقودني وقد أحصيت عدد الانفجارات بالسيارات المفخخة الى ٢٧ انفجاراً وراح ضحية كل انفجار العشرات من أهالي هذه المدينة التي تتكون من نسيج عراقي غالبية خيوطه من القومية التركمانية، وكنت كلما سقطت (قنبرة هاون) هرعت الى المكان حتى بلغ عدد (قنابر الهاون) وصواريخ الكاتيوشا التي سقطت على المدينة ٥٦٠ بين صاروخاً وقنبرة. وكنت أرى الأرواح تحلق في سماء المشهد وكأنها ارتدت ثوباً أحمرًا، وأقول الى من حولي أنظروا الى فلان، وذلك فلان ماذا يلبسون. غير أن الجميع كان لا يصغي إلي ولا يسمعون كلامي، أقول في نفسي أن صوت الانفجار أصمّ أذانهم، وكنت في كل مرة أخلق لهم عذرا، وفي كل مرة أقول لماذا لا تثير تلك الأرواح

وصورها انتباههم؟ الغريب في الأمر أنني ورغم انطلاقي الى أي حادث بدراجتي إلا أنني أصل قبل الجميع وأرى الصور مختلفة الألوان ما زالت تتكون ولم تستقر بشكلها الأخير.

كنت دائما أذهب منفردًا وفي الوقت نفسه كنت أسمع صوت أمي تناديني بصوت أجش، كان صوتها شجيا ساحرًا حين تتحدث معي أو تصيح بأسمي، لم أفهم أسباب تلك الحالة، أحيانا أبررها أن بكائها على الشهداء والجرحى وأغلبهم تعرفهم، في يوم من الأيام رافقتني ولأول مرة فرحت بها كثيرا، إلا أنني رأيتها فور وصولنا المكان بثوب أحمر كما الآخرين المحلقين في السماء، ثم مدّت يدها واحتضنتني بلهفة لم ألفها من قبل.

وحيث سكنت في دفئها وكأن طبقا يحملنا الأثنين، بدأت تروي لي الحكاية، ويا لها من حكاية غريبة، كل ذلك كان انتظار روح لروح، انتظار طفل شهيد لأمه، وقد استشهدت من أول انفجار في المدينة.

أما هي فقد رحلت على جناح شظايا قنبرة هاون سقطت في السوق، في الطريق قصت لي قصص لم تسعفني دراجتي الى حضورها وإحصاء ضحاياها، منها عمليات خطف وقتل على

أيدي عصابة داعش وارتكابها جرائم متعددة كونها تبتكر في كل مرة نوعاً جديداً من أنواع الجرائم، إذ خُطِفَ مواطن بريء وهو (عبد الواحد أمير) وجريمته أنه ميسور الحال ولديه أموال كونه أحد تجار المدينة وهو من المؤمنين ورجل ذو تقوى، تم التفاوض من قبل عناصر داعش الظلامية مع ذويه على مبلغ مالي قدره خمسون ألف دولار، وتمت موافقة أولاد المخطوف على دفع (الدية) كما يسميها التنظيم، وتم احضار المبلغ في المكان المتفق عليه. وجاءت زمرة منهم واستلمت المبلغ على طريقة العصابات والمافيات، بعد أن وضع في مكان تمت مراقبتهم عن بعد من خلال جهاز الناظور والمتابعة من خلال الهاتف النقال الذي يستبدل بعد كل مهاتفة، على أمل اطلاق سراح المخطوف مباشرة، غير أن الوقت المنتظر كان قاسياً وأخذ مأخذاً من عائلته ومحبيه، وبعد ساعتين من الصبر المصحوب بقلق شديد تمت عادوا الاتصال بذويه وأبلغوهم أنه في مكان معيّن خارج المدينة على طريق ترابي، وحين وصلوا الى المكان وجدوه جثته بلا رأس، فأدهش الجميع وانهار أولاده من شدة المشهد وبشاعته.

وبعد البحث عن الرأس وجدوه معلقاً في شجرة يتدلى منها

وقد وضع في (شبكة) تُحمَلُ بها (كرة القدم) عادة حين تعرض في المحال الرياضية لتغري المتبضعين.، كان مشهدا مروعا في ابتكار قتل جديد ومن طراز مختلف، ولِعِظَمِ الصدمة بادر أحد أولاده وهو الأوسط ويبلغ من العمر ثلاثين عاماً بحمل الرأس معلقا في رقبته متدلّيا بين يديه على صدره مستخدما الشبكة ذاتها وهو يصرخ بكل قوة دون أن يظهر له صوت.

وبعد تلك الصدمة القاهرة فقد صوته للأبد كأن حباله الصوتية تقطعت، وكان حين يريد شيئا يستخدم الكتابة هذا بعد أن أدخل في مستشفى في مدينة أربيل لمدة عشرة أيام قبل يأس الأطباء من صوته، وكان الأهم هو استقرار حالته النفسية، وما زال تحت تأثير الأدوية الخاصة بالأمراض النفسية والمهدئات التي لازمته حيث كان في وقتها متمسكا بالرأس بقوة ولم يستطع أحد اقناعه بترك الرأس لتجهيزه مع الجثة للدفن، إلا أنه استرخى مستسلما لفقدان الوعي قليلا ومن ثم الى المستشفى.

في تلك اللحظة استخلص رأس أبيه من بين يديه وألحق بالجثة، وكان الشهيد المغدور يبلغ من العمر ٧٠ عاماً حيث أخذت الشيوخوخة منه وطرا ورغم ذلك لم تبالي عصابات داعش

لكبر سنه ولا لشيته الموقرة.

دُفِنَ في مقبرة شهداء التركمان، ولأن جريمة قتله تداولتها الناس بحزن عميق وتمت ادانتها بشدة، قامت عصابات داعش بعمل قبيح جدا، حيث تم تفخيخ قبره في ليلة شتائية عاصفة. وعند الصباح تم تفجيريه عن بعد وهدم القبر، وكان هدمه يشفي صدورهم المثقلة بالغل والضغينة، وبقي على حاله الى أن دُحر الارهاب واستقر الوضع فأعيد بناء القبر. غادر الأنجاس وبقيت صور جرائمهم شاخصة في كل مكان دنسته أقدامهم وحقيقة تتناقلها الأجيال جيل عن جيل.

في هذه الحكاية أنهت أمي قصص الموت التي عاشها أهالي المدينة، بعدها شعرت بحالة برد ولاحظت أن ما ترتديه أمي بدأ يتبدل وشخصت أمامي كحمامة تحنو بأجنحتها، حتى فرعت وإذا بي في المستشفى كنت فاقد للوعي وفي العناية المركزة، وما سمعته من أمي كانت حقيقة ترويه لمرافقة أحد الجريجات وهي صديقتي رقية الطفلة التي تبلغ من العمر (خمسة سنوات) حيث (بترت) ساقها في آخر انفجار، أما أنا فقد كنت في غيبوبة أخذتني أحاديث من حولي الى تصورات تشبه ما عشته في لحظة الانفجار الذي سرق

مني الكثير، وأكثر تأثيراً على نفسي هو خطف بصري، فقد أعمت الشظايا عينيَّ الأثنين وصرتُ أعمى، أما (بتر) يدي اليسرى فلم أشعر به أول الأمر حتى بحثت عنها في يدي اليمنى، وتحسستها من الكتف، وعلى بعد أربعة أصابع شعرت أن يدي اليمنى أصبحت في فراغ، سألت أمي عن (يسرائي)، فبكت وطوقت عنقي بيديها، تحسست من حولي فلم أشم رائحة أبي التي كانت لا تفارقني، وحين سألتها عنه قالت: إنه في البيت وسنذهب له بعد يومين حسب ما أبلغني به الطبيب، وبعد يومين وصلت الدار لكنها لم تجده.

هذا ما طلبه مني أخي الضرير أن أدونه في قصة وأنشرها حيث روى لي ما دونته هنا في ليلة لم يرغب فيها النوم، وأنا كنت أراعي مشاعره ولا أنام إلا أن يخلد هو إلى النوم، لأن الأخت أكثر حناناً ورقة وأقرب الناس لها بعد والديها هو أخوها وطلب أن أسميها باسمه (صفاء)، هو لا يعلم أنني كتبتها بدموع عيني، وكل ما قصه كان تخليق لروحه ومشاهد كان يراها وهو في غيبوبته تلك التي صورت كل تلك المشاهد، وهي حقيقة وليس وهماً، كأن روحه تطوف المدينة وتحضر كل انفجار وتشاهد كل ما تخلف من خسائر إلا حادثة الشيخ

الذبيح الذي خُطِفَ لِيُقْتَلَ، وحين سألت عن هذا الأمر قيل أن الروح تفارق الجسد في المنام والغيوبة ويكون الرقيب صلة الوصل بينها وبين الجسد، ما زالت القصة لم تنشر وهي تنتظر الفرصة.

نظع حجرني

قبل عام ٢٠٠٥ كنت أعيش حياة طبيعية، فقد كان لي كل يوم مع هذه الآلة التي تضخ الماء الى ما حولها حكايات، في كل المواسم الزراعية، وكان أكثر ما ينعشني تلك القطرات التي تتطاير حين يصطدم الماء على قاعدة الحوض وتتناثر على جسدي رغم صلابته. دارت الأيام وتحول الناس الى وحوش ضارية تنهش بعضها البعض بكل قسوة، وليلي بات مشحونا بالرعب حيث يلتقي هنا في غرفة هذه المضخة أناس بوجوه سوداء كالحة. كم تمنيت أن لا يلمسني أحدهم حتى لا أفقد وضوئي، كأني أشعر بما يلوث هياكلهم وأنهم كائنات ممسوخة.

ذهبت الأيام تلك ورحل عهدها وجاء عهد كنت أقتل فيه ألف مرة كلما جاءوا برقبة بشر من جنسهم إن كان شابا في مقتبل العمر أو رجلا كهلا لا فرق عندهم ووسدوها جسدي، حيث اتخذوا مني نطعاً لحز تلك الرؤوس، ليتحول جسدي الى قطعة

حمرء غارقة بدماء الأبرياء، وكنت متيقنة من براءتهم من خلال وحشية قاتليهم. كل شيء هنا يصرخ ولكنهم لا يسمعون فقد أعمى الله بصيرتهم، حتى الريح هنا تصرخ وتكبر عند كل نحر يقطع بسكين ويعزل الرأس فيه عن الجسد.

حكايات جرت هنا لم أسمع بها من قبل ولا رأيت عيوني لها مثيلاً، في يوم جاءوا بامرأة من مدينة (بلد) هكذا عرفت من خلال الحديث الذي تحدث به قاتلوها، حكايتها لها شجن مختلف، ومرارة، قاسية، ووجع، وفي ذات الوقت لشهادتها تفرد لا يتكرر ولا أظنها حدثت من قبل، حيث كان لأميرهم رغبة أن ينال من شرفها لما تحمله من فتنة وجمال وهي في العشرين من عمرها. أقتيدت بالقوة الى مخدعه وأقفل الباب عليها، وهو يقهقه بكل خبث، فخيرت نفسها بين إثنين فاختارت أحدهما، فخرج الاستسلام من حساباتها واختارت المواجهة، اقترب منها متمرداً إلا إنها وبغفلة وغباء من الأمير كما يسمونه وبلفتة ذكاء خطفت حربة كانت بالقرب منه حين كشر أنيابه وأشهر مخالبه منشغلاً بما يعنيه ليفترس شرفها، فطعنته بكل جرأة وشجاعة غير آبهة بما سيجري لها بعد ذلك وأردفت عليه بأكثر من طعنة وأردته قتيلاً.

خرجت منتصرة و جلباب الشرف مفتخر بها فصاحت بفخر:
قتلت كلبكم هذا، فتحاوشها الجلاوزة وقيدوها وأمر أحدهم بأن
تضرب ويقطع رأسها، وهي واقفة بشموخ غير مبالية بما أقروا
بشأنها، هكذا أخبرتني الريح عن ذلك المشهد التاريخي المشرف،
وكانها تعلم بأنهم سيأتون بها إلي، وأنا على يقين أن الريح ستروي
حكاية هذه المرأة الى كل الأشياء التي تمر بها كما روتها لي. تحدثت
السهول عنها والأنهار وتروي حكايتها للطيور والأشجار، كيف
لا وقد فطمت على النبل والعفة والشرف، وتربت في أحد بيوت
النبل والكرامة، ورفضت أن تخضع لنزواتهم القذرة وأحصنت
فرجها واختارت الشهادة بدلا، وجيء بها الى هنا، وهي المرأة
الوحيدة التي نُحرت وسال دمها على جسدي، حتى أني شعرت
أن دمها دافئٌ عكس من سبقها كأنها اختارت لنفسها الشهادة كما
تحب، حتى أن الريح استدارت سبعة مرات حولها وهي ترفس
برجلها بعد أن قطع رأسها بيد جرباء.

عشرات الشهداء قضى نحبهم هنا، بعد أن تم خطفهم
بطرق مختلفة، منهم عمال يُدعون إلى لعمل مقابل أجر، وحين
يصلون يجدون أنفسهم بين وحوش عصابات القاعدة، فيفتادون

بالحبال الى مضاجع الشهادة، وكانت الريح تسمي لي أسماءهم وتقص علي شيء من حياتهم، أحدهم كان شابا جميلا خطف في ليلة حنائه، وفي يده اليمنى خاتم الزواج الذي لم يتم بعد، وآخرين يخطفون وهم في الطريق من مدينة بلد الى النجف لدفن أمواتهم، ما زالت الريح تحتفظ بصورهم، الكل سيشهد على قاتليهم ليساقوا زمرا الى جهنهم، كل شيء في الوجود يعلم بما جرى عليهم من مصائب، الطير يخبر الشجر، والماء يخبر المدر، ليس غريبا أن تحزن لهم الأشياء الأخرى، فقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم وجعله أفضل خلقه وجعل كل ما في الأرض مسخراً له، خاصة وأن هؤلاء ذبحوا على حب أهل البيت صلوات الله عليهم. فأني صخرة أنا وهل صمد الحجر أمام كل تلك المصائب دون أن يصدع، أي أمر هذا الذي خبأ الزمان لي، وهل أحسب شهيدة مع الشهداء ويكون لي قدر وشأن أم لا؟ فأنا الحجرة التي أرتكبت كل تلك المذابح عليها وكفى، أنا لست من جلد حيوان، فلماذا اتخذوني صومعة ذبح وشبهوني بالنطع، كل شيء مختلف في هؤلاء الثلاثة من البشر، ثلة فقدت مسمى الأنسانية واستبدلته بصفات السباع الضارية.

ماكنة الذبح بقيت تدور سنين طوال بلا توقف، حتى حملت
الريح ذلك الصوت القائل: إن طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق
وشعبه في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن هذا الوطن وأهله
وأعراض مواطنيه وهذا الدفاع واجب على المواطنين بالوجوب
الكفائي. صوت من كربلاء المقدسة، صوت أسقط السكين من
أيدي الذباحين وأذهل الناس أجمعين، وبدأت تلك العصابات
الشريرة تنهار وتقتل وتهزم شر هزيمة في كل موقع يستباحونه
من مدن العراق وقراه، وعاد الماء من جديد يتدفق من مضخة
الماء هذه، وتناثر ذات الرذاذ على جسدي لأغتسل من جديد
بماء الحياة، غير أن الحزن لا يفارقني فقد بقيت تلك الذكريات
بصورها الدائمة معلقة على جدار الذاكرة في كل مكان في هذه
الغرفة الصغيرة.

واقعة سبايكر

ذلك الجرح الذي لم ولن يندمل، وما زالت قلوب الأمهات كأنها الحمايم ترفرف على الشاطئ ما بين الماء والطين، أراهنَّ يعصرنَ دما كلما مررت من هنا، وأرواحهن كأنها طيور السنونو تملأ الأجواء صخبا كأنها غيمة تنثر جمرا وتمطر وجعا وآه، وألف آه وآه في كل حسرة نذبت هنا في هذا المكان، كلما مررت من هنا أشعر أن غيمة تظللني تبرق وترعد وتمطر دما، وأعيش تلك اللحظات الملتهبة وجعا ترعد في جسدي ويتسلل الموت الى كل كياني المنهدم حزنا ولوعة، ورغم كل ذلك لا أهجر المكان أو أروغ عنه إذا ما مررت به.

ارتدوا قناع العروبة وتحلقوا حولنا حين كنا في أمس الحاجة لمن يأخذ بأيدينا ويدلنا على الطريق الآمن من عصابات داعش الإرهابية، ألسنتهم دعتنا لنكون ضيوفا كرماء في مضائفهم العربية، وقلوبهم كانت تخفي لنا الغدر، وكنا نرى الوجوه ولا

نرى القلوب، حتى إننا كنا في موقف وظرف عصيب لا يسمح لنا بالتأويل أو قراءة ما بين السطور، أو فهم ما تدلي به العيون، سرنا وخطواتنا تقول هيا اسرعوا لأنها في وهم، أما ارواحنا فقد كان لها رأي آخر، والأفئدة بين نبض متسارع وبين سكون مريب. رحلنا معهم بمركب النيّات السليمة لقوم لم نتوقع منهم أن يكونوا بهذا الحال غير المسبوق في حمائل العرب الكرماء الذين يأوون الدخيل وإن كان عدوا لدودا، يا له من اضمار خبيث خفي، وزعوننا مجاميع وسيق بنا الى القصور الرئاسية في مدينة تكريت، ولم نتوقع أننا أمسينا أسارى حيث قدمونا هدية الى السيدة التي لا نعرف من هي، لم نعلم بما سيحل بنا حتى وضعت الحبال بايدينا وسرنا مكبلين والمنايا تسير معنا، كأن السيدة تلك هي من حكمت علينا ونظقت الحكم في محكمة صورية وحشية دموية، سيق جمع منا الى مقابر جماعية أعدت بواسطة الآليات وقد دفن الجميع أحياء فقد كلفت الآليات بحملهم على شكل كتل بشرية ورميهم بالحفر ومن ثم ردمت الحفر بالتراب وجالت عليها الآليات لتطحن أضلعهم وتكسر عظامهم بطريقة وحشية وهذا أقل وصف لها.

أما أنا فكنت مع من سيقَ الى النهر، كنت أرى الجميع أموات في هذه الكتلة من البشر التي وجهتها النهر، إلا أنا كنت حياً، لا أدري من أين لي هذا الشعور وعلى أي بيّنة استند الفؤاد في تكهنه هذا، حتى ظننت أني أنا الميت وهم الأحياء، وهناك صوت لا أدري من أين مصدره، يقول لي لا تحشى دركاً فأنت.. ولم يكمل فقد حال بيني وبينه الضجيج، والقوم مبتهجون كأنهم في حفل زفاف جماعي.

وصلنا الى نهر دجلة وقلنا هو الخير كما وصفه الجواهري، إلا أن القوم كان لهم رأي آخر، يريدون أن يكون نهر دجلة نهر موت، نهر يسقى بدماء هذا الركب الكبير.. هناك على تلك المنصة الكونكريتية تحت الجسر كان للرصاص لغة، ولكل رأس رصاصة خاصة خاصة تحدّثه بلغتها التي لا يفهمها، بعد كل رصاصة تصرخ في رأس ويهوي مضرجا بدمه في النهر أقتربت أنا أكثر الى رصاصتي، كان العدد الذي سبقني بلغ خمسمئة وأربعة وستون شهيدا ثقت رأسه رصاصة، وكنت أحصي الرؤوس بعدد الرصاص، بعد ثلاث رصاصات وأصل إلى رصاصتي، عاود ذلك الصوت وكرر ذات العبارة، لكنني هذه المرة سخرت

منه، نعم كان يريد أن يهون عليّ تلك الصرخة فما بيني والموت رصاصة ل(عمار)، وأخرى ل(موفق)، أما صديقي (مشى) الذي كان دائما بالقرب مني، فقد كان صامتا لا يتكلم، وقد ابتلع الخوف صوته، للتو أكمل عقده الثاني، كنت أرى في عينه صورة خطيبته التي لم تفارقه والتي حدثني عنها كثيرا، موعده معها تلك الدقائق ما بينه والرصاصة المجنونة تلك التي بالانتظار، كنت أرى الرصاصة تحوم حول رأسه، هكذا خُيل لي، وكان يلوذ بي فقد سبقته برصاصة واحدة فقط.

الآن أنا ورصاصتي في شغل كان زمنه ثواني معدودات انتظرنا فيها لحظة الانطلاق، ودعني (مشى) بنظرة محتقنة بالخوف وشفاهه ترتجف، صرخت رصاصتي غير إنها تحطت رأسي رغم قرب الفوهة، وكأن ذلك الصوت هو من حال بيني وبينها وهو من قذفني في الماء مع من سبقني إليه داميا قتيلا محتسبا، أما أنا فكنت حيّا كما وعدني ذلك الصوت، وكأن تلك الرصاصة من قطعت جبلي السري لولادة جديدة، غصت في الماء المضاف بدماء مئات الأبرياء الذين سبقوني، وكنت أنتظر (مشى)، والعلامة هي صوت رصاصته التي سمعتها فكشفتُ عني الماء فهوى بين

يديّض وقد سار الماء عبر ثقب الرصاصة، احتضنته وسرت به مسافة وموج الماء يسايرنا وشعرت أنه تعاطف معي، حتى ارتخت أطرافي من هول الفاجعة وغاص هو في النهر، وتركت جسدي دخيلا عند الماء، أخذني الى حيث الأحراش المنتشرة على هامش الجرف وتحسست قدمي الطين فهذا روعي قليلا وسكنت مستندا على المسناة حتى لا يشعر بوجودي أحد منهم فقد انتشر الناس على هامش الواقعة عبر الشاطيء، وهناك أخذت نفسا بعمق وبكيت صديقي وبقية الرفاق، وانتظرت الغروب لأكمل بقية حكايتي في الحياة، الى الآن لم أتمكن من أن ألغي فكرة زيارتي المتكررة الى ذلك المكان، وفي كل مرة أعيش أهوال ذلك المشهد في كل صورة، حتى صرتُ أتحدث معهم وخاصة مثني وأستذكر سؤال والدته الذي لا جواب له.

فحيح الأفاعي

أحتاج الى كل العقول والأزمة لأكتب عنه كلمة، وأي كلمة تحمل معناه...؟! ها هو هنا أستشعر خطواته، في بيت جده وأبيه، في هذا المكان من يوم توج الى قيام الساعة، وهذا الصرح المتوج بالذهب، والذهب خجل متصاغر أمام هيبة وجوده، كنت مرتبط به وبكل شيء هنا، كأني من أديم هذا التكوين لم يمر يوم إلا وأخذني الوله إليه، أعطر كئي به وأشعر أن الروح تهنأ عنده وتستريح من أثقالها التي تحملها كل يوم، كأني أفرغها هنا وأرحل، لي مع كل عتبة لمسة تمنحني الثقة بالنفس ودرجة اطمئنان، لا أدري لم اختاروه هدفا لسهام بغضهم، ولا أدري من أين هم وبأي دين أو معتقد يعتقدون.

جاءوا عبر التاريخ من تلك الأصلاب الواهنة والأرحام الرديئة وبعنوان جديد أسمه (تنظيم القاعدة) بحثوا عنه في كل الأزمنة وسألوا عنه كل الأمكنة ليزبحوا فيه نسل العصمة وهو

كلمة الله، وذهبت كل محاولاتهم هباءً، أشكال تمثل الظلام بكل معانيه وتتمثل بكل الأجسام التي جعل الله منها للناس عبرة حين نزل أمره فيها.

جاءوا بأقنعة متعددة كأنهم لا وجوه لهم أو أنهم مسوخ من أساطير المسخ التي ابتليت بها أمم سالفه، وحاكت أناملهم السود بحروف من نار طريقة إسكات صوت الأذان وهدم صوامعه في سامراء. تسللوا كالأفاعي وأنياهم تقطر سما ومخالبهم تحمل براكين لتنصب في بيت من بيوت الله وتطلق حممها في وقت خطط له، فقد حملوا من البغض والحقد الكثير لآل بيت النبوة الأطهار صلوات الله عليهم وبذات الحقد واللؤم يكونون لمحبيهم ومواليهم، والغدر وسيلتهم المتبعة في كل جريمة يرتكبونها، وهناك من هيء لهم الأسباب لتنفيذ كل مخططاتهم وخاصة التفجيرات التي استهدفت الأبرياء في كل مكان في العراق.

وتسللوا كالأفاعي الى هذا الصرح وزرعوا في كل ركن من الحضرة المطهرة عبوة ناسفة وعند الشباك المقدس عبوة أخرى، وربطوها بسلك يرتبط بجهاز تحكم من بعد، وحددت ساعة الصفر يوم الأربعاء ٢٢ شباط ٢٠٠٦ الموافق ٢٣ محرم ١٤٢٧

هجرية، وضغط كبيرهم على زر التفجير، ودوى عصف هائل في الأرجاء وهوت القبة بما فيها وانقطع عنق المأذنة، وصاح اشهدوا لي عند الأمير إني أول من رمى، هكذا حدثتني روعي التي سبقت جسدي الذي أضناه الكبر وهول الصدمة رغم قرب المسافة بيني وعشقي الأزلي، لم يبق العصف شيء قائم، أرتبكت الأشياء وتكورت على بعضها البعض، وتكوين يواسي تكوين، وأجرة تعزي آجرة.

في لحظة ما شعرت بوقع أقدام تسير بهدوء تقودها أنفاس دافئة، تتفقد المكان بما فيه من خراب ودمار دون أن أرى من هو، وبين الحين والآخر أتحمس وقوفه عند مصحف احترق كله إلا بعض كلمات مستثناة، أريد لها أن تكون آية، وكم مصحف احترق هنا، وأي شيء لم يستهدف من قبل أعداء الله وأعداء أوليائه الصالحين، ويا ترى من هو؟ أو يكون غيره؟ كلاب هو والله إمامي الذي ما بيني وبينه رابطة روح هكذا ألهمني حبي.

التحق جسدي الى المكان باحثا عن روعي فأذهلني المشهد، تحول الصرح الى خراب ورأيت ما لم أر من قبل، وعيون الناس شاخصة كأنها في حالة احتضار، خرساء يلغثم ألسنتها الصمت،

ووجوههم مغبرة مصفرة، لا تجرؤ على فعل أي شيء، حتى أنها لم تدخل لترى ماذا حدث وماذا خلف العصف المرعب في هذا الصرح الذي اختفت قبابه ومناثره عن الأنظار، والغبار يجيم على المشهد بأكمله، لم تعد لي رוחي كأنها ترفض ذلك ولا تريد أن ترتبط بهذا الجسد التراخي الذي أتعبها طيلة تلك الصحبة التي شابت معها السنين، أو أنها انشغلت بما حدث وما زالت تعيش الصدمة، لم يحدث لي من قبل أن تنفصل عني بهذا الشكل يا ترى هل هناك أمر جلل يختص بي.

وبعد حين أدركت الحقيقة، أني جئت محمولا ولم تأتي بي أقدامي، وأني راحل إلى أمي الأولى وعود إلى رحمها من جديد، إلى الأرض، وروحي صاعدة إلى بارئها شاكية له ما كانت عليه، وأنها فارقتني بسبب هول المصاب وتركتني جسدا خاويا في الطريق إلى المغتسل على أكتاف أهلي وأصحابي، أي مصاب هذا وأي حدث هذا الذي أرداني، يا لهذه الأسباب الدالة على هيبة الأنتهاء الروحي والولاء العقائدي الذي يربطني في هذا المكان ومن دفن فيه ومن ما زال يرتاده ومتعلق فيه وهو الأمام الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وكم تمنيت أن أدفن هنا

إلا أن الأمر ليس بيدي ولا حسب رغبتى، ويأتى هل ألتحق
بأئمتى وسادتي في عوالمهم التي اختصهم بها الله هم ومحبيهم أم
أنا لست بدرجة الخادم لهم وإن ظننت ذلك..؟

كان لوقعتها أثر بالغ في نفوس العالم بأسره كونها جريمة
تعدت كل الخطوط واستهدفت معلماً حضارياً ودينياً، وقد استفز
البعض ممن تربطه علاقة بهذا المكان من كلا الطائفتين السنية
والشيعية، إلا أنَّ العقل كان هو المتحكم، فاستقر الأمر وهدأ
الوضع وسكنت النفوس قليلاً وأقصيت الفتنة بعيداً، إلا أن
الهدف الأول وهو التفجير قد صدع الأفئدة كثيراً، كونها جريمة
مخزية وبشعة وفضيحة ارتكبتها أيادي آثمة سيحدث التاريخ عنها
الأجيال عبر الأزمنة، أما أنا فقد حُملت في التابوت وهناك عند
القبر شعرت بالنعاس وأخذتني غفوة، أفاقني رذاذ ماء بارد من
كف صديقي الحاج رضا، تحسست جسدي أبحث عن الكفن
والقبر الذي وضعوني بالقرب منه فلم أجدهما، كانت رحلة
موت لم تكتمل، أو هي إرادة الله التي أعادتني الى الحياة، والكل
كان بعيداً عني خائفا خاصة حين حركت يدي قبل النقلة الثالثة
صوب القبر، أما الحاج رضا فقد سارع الى فتح الكفن وأخرجني

منه عاريا ما عدى القطعة الأولى الصغيرة منه وعانقني باكيا ثم
بدأ الآخرون يقتربون مني بعد أن أيقنوا أنني على قيد الحياة وعدت
لها لسبب لا يدركه إلا مسيبه.

بسمة السكون

هنا تيممَ الدم بالتراب، وتوضأ الترابُ بالدم، وهنا تجلّت كل معاني السكون وبسملته، لم تفضي الى نطق بعدها أبداً. هذه بقعة من أرض العراق تحمل هوية مدينة سامراء. تحت هذا التراب تسكن عائلة تتكون من أب وأم وولدين توأم بعمر سبعة سنين، وبنت بعمر خمسة سنين، وطفل رضيع بعمر ثلاث سنين، هي ليست بحاجة الى ماء أو طعام ولا حتى الى الهواء، فقد تخلّت عن كل ذلك بإرادة القاهرة وسكنت السكون هنا وارتضت بما قدر لها. في يوم ليس كباقي الأيام، طرق الباب طرقا صاخبا مدويا، ساد القلق والرعب في كل أرجاء الدار، وبعد صمت قليل، ونظرات توزعت بين أفراد العائلة دون أن يكون للرموش دور آخر غير السكون، حيث شخصت الجفون، نهض الأب ليستجيب الى طلب الطارق، ونظرات بقية العائلة تلاحقه بصمت وريبة وكأنها تقول له لا لا تخرج يا بابا من لنا غيرك، وقد

كان يشعر هو أيضا بذلك الشعور الذي يلاحقه من العائلة، سار وقد ثقلت قدماه وتباطأت خطاه، وكأن هناك خطب يستدعي كل ذلك التوتر والقلق الخفي، وحين فتح الباب لم يجد أحدا عنده، التفت يمينا وشمالا لم يرَ من مغادر بعد طرق، ازداد توترا وريبة، إلا أنه في الجهة الأخرى من الشارع شاهد امرأة فتحت الباب قليلا وبهدوء جذبت انتباهه وهدأت قليلا من روعه، وهي خائفة مترددة أشارت الى الباب وكأنها ترى شيئا فيه، لم يفهم القصد أول مرة، ولكنه في المرة الثانية أدرك المعنى ونظر الى باب داره فوجد عليها عبارة خطت بأصباغ حمراء تقول: ارحلوا من هنا لا حياة لكم فيها أيها الرافضة، اتكأ على الحائط قليلا وأغمض عينيه وعاش لحظة الضياع تلك بكل ما فيها، ثم أغلق الباب وعاد الى الدار وقد أسودت الدنيا بعينيه.. داره التي بناها آجرة تلو آجرة وأنفق فيها كل ما حصده في سنين عمره الوظيفي كيف له أن يغادرها، وأين سيرحل وفي أي أرض سيحل مع عائلته والأوضاع يشوبها الغموض في كل شيء.

جمع ما يستطيع حمله في سيارته الصغيرة وترك كل شيء في الدار وأخذ عائلته ورحل، وقبل أن يتوجه اتصل بصديق

وقص عليه الأمر، فنصحته الهجرة الى مدينة كربلاء، فقد هيئت الدور والفنادق ومدن الزائرين والحسينيات والمواكب لاستقبال المهجرين من قبل عصابات داعش. عقد النية وانطلق متجها الى بغداد ومنها الى كربلاء المقدسة كما كانت نيته، وهو في الطريق اعترضته مجموعة ارهايية وأوقفته وبعد التعرف عليه قال كبيرهم: أنت معلم التاريخ أستاذ مرتضى إذن، وهذه زوجتك نرجس وأولادك، أين ذاهب؟

أجابه: الى بغداد

قهقهه ساخرا من قوله، والتفت الى عصابته طالبا منهم انزال العائلة من السيارة وحملهم في السيارة البيك أب التابعة لهم، وتم تنفيذ أوامره بعد أن عجز أستاذ مرتضى من أن يثنيه عن قراره. سارت السيارة بهم الى مكان مجهول وسيارة زعيم المجموعة تسير أمامهم، ولم يبق الرعب في العائلة قلباً إلا دكه بعنف وخاصة الأطفال الذين أخافهم المنظر المرعب لهؤلاء الوحوش، أما الأب فقد علم أن الخطب فضيع، ولا حياة لمن يتم خطفه هؤلاء المجرمون.

هنا في هذه البقعة من الأرض توقف الركب وأنزلت العائلة

وقيد أفرادها، وجيء بهم الى حفرة أعدت بألية (شفل) وفي حفل ساخر من العائلة ومعتقدها الديني، أصدر أمره برميهم في الحفرة وهم أحياء وهو يقول: لا تقتلوهم رميا بالرصاص ولا تذبحوهم كمن سبقهم الى هنا في هذه الأرض التي سنسميها (مقبرة الرفضة)، بل ارموهم في الحفرة أحياء ثم ادفنوهم، ولا بأس في تعدد طرق الموت بحق هذا الصنف من خصمنا العنيد. وأول من وصل قاع الحفرة ذلك الطفل الرضيع بعد أن خطفه من حجر أمه ورماه بشدة وصرخته مخنوقة لم تتجاوز عنقه الرقيق الذي التوى فورا كأنه وردة طالتها يد عابث، ثم ألحق أمه به بعد أن ركلها برجله، ثم ألحق الأولاد التوأم وأختهم التي فارقت الحياة من شدة الرعب وهول الحدث. وبعد لحظة صمت نظر الى أستاذ مرتضى نظرة خبيثة ثم دنى منه وقال: هذا مرتضى نعم هو مرتضى بعينه لا يليق به الموت دون ذبح، يجب أن يكون للسكين مع رقبتة حوار ساخن، وقهقهه هو ومن معه، ثم طرحه على الأرض بمساعدة جلاوزته وذبحه من الوريد الى الوريد، وأمرهم برميهم في الحفرة مع عائلته حيث وصل الرأس أولا ليرسم أفضع مشهد في تاريخ الأنسانية، وسقط في حجر

أحد أولاده وارتمى عليه الآخر بلهف الولد لأبيه، ومن ثم تلتته
الجبثة حيث هوت ودم الوريد ينزف جمرا، وسط صراخ قاهر دام
لدقائق. بعدها أسكت التراب الذي أهالته آليه (الشفل) كل
شيء، وجالت على المكان بثقلها، وسكن كل شيء هنا بعد رحيل
الآليات في هذا المكان القصي الى الأبد.

ما زالت تلك الأرواح البريئة ترتاد هذا المكان نزولا من
علاها، فقد أرتبطت بعلقة خاصة كون خروجها لم يكن بالطرق
المعتادة التي عرفتها الأنسانية، وحتى وإن كان قتلا في حرب، أما
أن تخرج مثقلة بكل هذا الحزن الكبير وبهذا الأمر الفضيع فذلك
خطب أوجع تلك الأرواح وأصابها بصدع كبير، وما حدث
لتلك الجثث المرملة هنا حزن لا يوصف، سلام من رب رحيم.

قنبلة شرف

وحوش جائعة تحوم حول مدينة (أمري) تريد افتراسها وهي تأبى ذلك ولديها منعة كبيرة، أحاطوا بها من كل جانب، وفرسانها يزودون عنها سطوة تلك الأنياب، توسدوا الساتر وتسوروا المدينة بأجسادهم، وبين الحين والآخر نسمع دوي مفخخة على مصد من مصدات الدفاع حيث يواجهها فارس ولدته لبوة سومرية، أما قنابر الهاون وصواريخ الكاتيوشا تسقط بشكل عشوائي في المدينة لتسفك دما من امرأة أو طفل.

كان زوجي ضابطاً متقاعداً في الجيش العراقي وهو من يقود المعركة، وكنت قد تدرّبتُ على يديه، في كيفية استخدام السلاح الخفيف والرمانات اليدوية الدفاعية والهجومية، دربت نسوة المدينة على كيفية استخدام السلاح، وحين تعلمن كيف يتم رمي الرمانة اليدوية، حملت احدهن رمانة وصاحت:

وجدتها هي لا غيرها والله، كم شغلني البحث عن وسيلة

أحبط بها أمر يقلقني ويضرب رأسي بقوة كلما فكرت به.
فاستغربنا منها جميعا في أول وهلة لأنها لم نفهم ماذا تقصد
و حين سألتها:

ما هي التي وجدتها لتجعلك تصرخين بهذا الشكل كأنك
وجدت شيئا ثميناً؟

الرمانة هذه هي الحل الوحيد وهي من تنقذ شرفي وشرف
بناتي من هؤلاء الأجلاف
وكيف تنقذك وبناتك؟

سأحتفظ بواحدة وأدعها الى ساعة لو شاء القدر وتمكن
الدواعش من اقتحام المدينة، حينها ..

اكملني ماذا بعد ذلك الحين افصحي عما يدور في مخيلتك؟
سأفجر بها نفسي وبناتي ومن يجروء على أن ينال منا، فهؤلاء
الدواعش لا شرف لهم فقد انتهكوا شرف العديد من النساء في
مدن أخرى، والموت بشرف خير من أن ينال منا هؤلاء الأوباش
العتاة، ونكون أسارى نساق الى الأعراب من الشيشان وغيرهم.
ساد الصمت قليلا بسبب المفاجأة التي أذهلتنا جميعا وباتت
كل واحدة منا تنظر الى الأخرى لترى ردة فعلها فقد كنا في

صدمة، ثم دنوت منها وقبلتها في جبينها وقلت:
هنيئا لنا ولآمري بك، نعم وأنا مثلك سأحتفظ بواحدة
تكون هي الفيصل بيني والدواعش، فعلا هي الحل الأمثل في
ساعة تُخيّرُ بها بين العزة والذلة.

حتى راقت الفكرة للنسوة كلهن، وقالت كل واحدة منهن:
أنا سأحتفظ بواحدة، فقد كانت فكرة (ثائرة) أدهشت الجميع،
لكنها كانت فيما لو تمكنت عصابة داعش لا سامح الله من أن
تدخل آمري وهذا ما لم يحدث فقد كان رجالنا يفترون كل من
يدنوا منها في محاولات لمجاميع داعشية كانت تحبط بكل شجاعة
واقدام.

كنا في حصار مميت بلا طعام ولا ماء ولا دواء إلا اليسير
الذي كنا نقتصده به جدا ونحاول اطعام الأطفال أولا ونبعث منه
الى الرجال في السواتر أما نحن النسوة فكنا نتحمل الأكثر قسوة
فمنا من تبقى يومين أو ثلاثة بلا طعام، أما ما نملكه من أعددة
قليلة وأسلحة بسيطة فهي لا تقاس بما يمتلكه العدو الداعشي
من سلاح مختلف التصنيف والعيار، كل هذا لم يحدث في قلبي
صدعا، إلا ما طلبته مني احداهن تلك المرأة العليلة التي تعاني

من مرض عضال وزوجها على الساتر ولها بنت في العاشرة من عمرها، فقد كنت أزورها كل يوم لأطمئن عليها، فقد كان طلبها كالصاعقة أهب كياني كله حين أمسكت بيدي وقالت:
أقسم عليك بالله جلّ جلاله وبحبيبه المصطفى صلوات الله عليه وعلى آله أن تنفذي ما أطلبه منك.

إن شاء الله تعالى، قولي ما هو طلبك؟

لو لا سامح الله ودخلت عصابات داعش الى آمري، أحملك أمانة وهي أن تطلقين على بنتي الوحيدة رصاصة في رأسها قبل أن ينال من شرفها أحد فنحن لا نملك رمانة يدوية كما الأخوات من نساء المدينة.

وهنا ذهلت وشعرت أن لا قدرة لي على الإمساك بدموعي فبكيت بحرقه كبيرة وصرت أجول في الدار كالمجنونة، والأدهى من ذلك ان البنت نفسها (سوسن) هي من شدّدت على طلب أمها وهي تحتضني وتبكي.

حتى انهارت قواي وأنا المرأة المقاتلة التي تقود آمري من الداخل، وبقيت فترة لا أستطيع أن أنطق كلمة واحدة فقد تكسر النسيج في صدري، بعد ذلك المشهد المثير أومأت لها برأسي أني

سأنفذ طلبها وغادرت باكية، إلا أن ذلك الموقف وفكرة الرمانة اليدوية التي تمسكت بها النسوة شعرت من خلالها أي ازدادت عزمًا في أن لا يمكن أن تدنس داعش مدينة آمرلي، فعدوت بلا شعور الى الساتر وقد تجمع الرجال حولي وقد أدهشهم منظري وما أنا فيه، وحين أخبرتهم بما عزمت عليه النسوة وما طلبته مني أم سوسن أجهشوا في البكاء وأقسموا بالله وأنبيائه ورسله لن يصل أي داعشي الى أي (آمرلية) مهما تكن الأسباب، فكانت تلك اللحظات عبارة عن ثورة أحدثت ثورة في نفس كل رجل آمرلي وكنت على يقين أنهم ليس بينهم من يتخاذل بل كلهم يعانقون الموت ولا يبالون.

وأنا في طريق عودتي كنت أفكر في كيفية رسم طريقة قتال نسوية صرفة في حال قتل الرجال، ودخول الدواعش، وعند وصولي الى المقر وهو مدرسة في مركز المدينة شرحت الفكرة لنسوة المدينة، وفيما بعد رسمنا أكثر من خطة قتالية بعد استشارة زوجي فقد استفدنا كثيرا من خبرته وتوصياته في كيفية القتال في المدن، والحمد لله بقيت الأمرلية بشرفها والمدينة بعنفوانها شامخة بصمود رجالها ونخوة نساءها وفتح الحصار عن آمرلي وبقيت

تلك الأيام وما جرى فيها لا بد أن تؤخذ منها الدروس والعبر
فالعنف ما زال سائلاً لا أمان له في كلِّ العالم.

مرضعة آمرلي

في الأيام الأخيرة من الحصار الذي فرضته عصابات داعش الارهابية على مدينة آمرلي الصمود والتحدي، ساءت الأحوال جدا وذلك بسبب نقص الغذاء مما تسبب في جفاف حليب الأمهات الرضع، وفقدان الحليب الصناعي المجفف أصلا منذ الأيام الأولى للحصار، أيام عصيبة للغاية على الأطفال من جهة وعلى الأمهات من جهة أخرى. أما الآباء فكانت بعض الأمهات تخفي عليهم ما تعرض له أولادهم من سوء تغذية بل هي المجاعة بكل صورها قد تجلت هنا في هذه المدينة المحاصرة. كانت الأمهات يؤثرن على أنفسهن حتى لا تتأثر عزيمة الرجال وهم يقاتلون على الساتر، إلا أن هناك امرأة شاء الله لها أن تكون أم لعدد من أطفال المدينة، فقد تمكنت من ارضاع ثلاثة أطفال الى أربعة يوميا مع طفلها، كانت تعطي لكل طفل رضعة واحدة ينهي بها يومه، ويسجل يوما آخر للحياة، فكانت تلك المرأة بحق مثال

للإنسانية هنا في هذه المدينة المحاصرة حصارا قاسيا، وكانت هذه المرأة تقوم بتسجيل أسماء هؤلاء الاطفال الذين أرضعتهم عدة رضعات بورقة لتجعل منهم أخوة في الرضاعة لأبنائها، تحرزا للجانب الشرعي في المستقبل، فيما يخص زواجهم والعلاقة فيما بينهم.

وفي منطقة أخرى كانت هناك امرأة أخرى تمكنت من أن ترضع عدد من أطفال أمري وما زال الناس في دهشة كبيرة مما حدث، رغم أن المرأة لا تجد ما تحتاجه من طعام ليدعم لبن صدرها لتدر به الى هؤلاء الأطفال وتنقذ حياتهم وهي تشاركهم لبن رضيعها، نوع من التكافل المتفرد والذي يندر حدوثه خاصة في وضع كهذا تعيش فيه الطفولة حصارا يعد من الجرائم الكبيرة التي اقترفتها عصابات داعش الإرهابية، وفي مرأى ومسمع العالم كله، أي حرب هذه وأي لعنة يستحقها هؤلاء القتلة الذين وأدوا الحياة دون رحمة، واتخذوا من قتل الطفولة جرعات تتلذذ بها أفئدتهم التي نخرت بالحقد الأسود، كيف لا وقد رضعوه من أثداء ناصبية ليكون أحد تكوينات الدماء التي تسري في عروقهم. حمل أحد الآباء ولده الوحيد الذي انتظره لسنوات بين يديه

وهو في الرمق الأخير وقد يأس منه تماماً، فقد جفّ ثدي أمه من الحليب، فأخذه شقيقه الأكبر وخرج به الى الشارع مهرولا دون أن يحدد وجهته ولا يدري ماذا يصنع، لكنه أراد أن يواري الطفل عن نظر أبيه وأمه أثناء موته، إلا أنّ القدر أخذ صوب دار لا يعرف من هم أهلها، ورغم ذلك طرق الباب دون وعيٍ منه لعله يجد في هذا البيت حلاً، وبعد انتظار لثواني قليلة خرجت له امرأة لتشاهد هذا المشهد المريب، فقص عليها قصة أخيه مع هذا الطفل الوحيد الذي رزقه الله فيه بعد يأس دام عشرة سنوات، لم تتمالك المرأة نفسها فأجهشت بالبكاء ثم عادت مسرعة الى الدار حيث سحبت الرضاعة من فم ولدها التي أعدتها له للتوّ من علبة حليب أخيرة لديها، وتناولت الطفل منه وأرضعته لتدرك حياته من الهلاك، ثم عادت الى الدار وحملت علبة الحليب بما فيها وأعطتها إياه، وقالت له هذه الوحيدة لدي وقد ادخرتها لطفلي وكنت أرضعه منها رضعة واحدة في اليوم فقط، فرفض أن يأخذها لكنها أقسمت عليه بالزهراء عليها السلام أن يأخذها لينقذ طفل أخيه، فيما بقيت هي في حديث مع نفسها: خذها وأحبي بها طفل أخيك الوحيد الذي انتظره سنين طوال، أما

أنا فلدي ثلاثة أحدهما بنت، كأنها خاطرت بحياة طفلها الثالث من أجل إنقاذ طفل آخر تتعلق حياته بحياة والديه هكذا فهمت الأمر لذلك أقدمت على فعلتها دون تردد أو تفكير والدمعة فاضت على خديها ونزلت كأنها جمر متوقد.

عاد وكأنه ظفر بالحسنين من وجهة نظره، الأولى بقي طفل أخيه حيا وعادت له الحياة بعد تلك الرضعة، والثانية هي علبة الحليب التي يمكن من خلالها أن يضمن عمراً أطول لهذا الطفل حتى يشاء الله ويقدر، وحين قدم الطفل الى ذويه كأنه منحهم حياة أخرى، إلا أن الأمر العجيب الذي أدهشهم هو كيف حصل على كل هذا، كون الحليب لا وجود له منذ فترة في المدينة، وأما الأمر الآخر الأكثر إدهاشا هو الإيثار الذي قدمته تلك المرأة، وما بين هذه وتلك جلس الجميع وقد غرقت عيونهم بالدمع، وهذه القصة أيضا أعدت من الأحداث الاعجازية التي حدثت في أمري وهي تحت وطأة حصار شديد دام أكثر من شهرين، وتشكل صفحة واحدة من صفحات أمري وأحداثها وهي تعاني من جرائم منظمات الارهاب الداعشية.

لم تبقي عصابات داعش الإرهابية نوعا من أنواع الجرائم

لم ترتكبه ضد الإنسانية، فقد ابتكرت جرائم جديدة لم ترتكب من قبل حتى من قبل النازية ومن كبار مافيات الجريمة في العالم، لدرجة إنها كانت تلذذ بقتل الأطفال أو شوائهم بنار المفخخات في المدارس والاسواق والأماكن العامة وحتى المستشفيات لم تسلم من حقدهم وكأنهم خلقوا ليصنعوا الموت في كل مكان.

فُتِحَ الحصار عن آمري وناقشت تجربتها في عين التاريخ، بعد أن عاشت المدينة، أياماً اختبرت بها الناس وغربلت بشكل لا مثيل له، وقد نجح الجميع بتفوق منقطع النظير، وسجلت المواقف المشرفة أسمى وأبهى القيم الإنسانية والأخلاقية وعلى جميع الصعد، وانتصرت المبادئ السامية وبنيت في هذه المدينة حياة مثالية، وكأنها المدينة الفاضلة التي عنها افلاطون في إثارته الفلسفية.

سجدة شكر

فقد مستوصف مدينة (أمري) الصحي معظم صفاته الصحية من حيث الأدوية والعقاقير والضمادات، ولكونه مستوصفاً، وليس مستشفى لذلك لا توجد فيه أجهزة طبية، أما كوادره التي تقدر قرابة الثلاثين منتسبا فكان لهم دور استثنائي في معالجة الجرحى والحالات الطارئة بإمكانيات متواضعة جدا، حيث عاشوا مع المأساة بشكل مختلف، وقد عجزوا من أن ينقذوا عدة أطفال يعانون من نقص في التغذية ومن بعض الأمراض المزمنة. لم يتوقع أحد الأطباء أن يرى المعجزة بعينه ويعيشها لحظة بلحظة، حتى أحضروا له طفلا بحاجة الى أوكسجين لإنقاذ حياته، و كانت كل قناني الأوكسجين قد نفذ ما فيها تماما. ولأن موقف ذويه صعب جدا، ولكي لا يصدمهم قام بوضع الجهاز بقم الطفل المركب على قنينة أوكسجين فارغة تماما، وهو في حالة يأس من نجاة هذا الطفل، غير أن المفاجأة كانت حاضرة لتدهش

الطبيب حيث تحرك وبشكل غير متوقع مؤشر الأوكسجين ليشير الى أن الأوكسجين قد تدفق من القنينة الى الطفل، وفعلا بدأ الطفل يتنفس بارتياح، فبهت الطبيب لدرجة أنه هوى على الأرض مغشيا عليه لفترة قصيرة، قبل أن يبادر من معه من اتخاذ إجراءات سريعة لإفاقته، وحين هدأ قليلا قص القصة على ذوي الطفل ومن معه من الزملاء الذين كانوا يعتقدون أن تصرفه مع الطفل باديء الأمر حصل من يقين أن القنينة فيها ولو شيء قليل من الأوكسجين، حيث كان يحدثهم و(العبرة) تتكسر بصدده لم يستطع إكمال جملة واحدة دون تجزئته، حتى بكى الجميع وحمدوا الله وصى الأيوين صلاة الشكر.

بعد ساعة من هذه الحادثة سقطت قذيفة هاون أطلقتها بشكل عشوائي عصابات داعش الإرهابية تسببت بإصابة ثلاثة من بينهم طفل تهشمت ساقه بأكثر من شظية، فنقل على الفور الى المستوصف، وحين نظر الطبيب الى حالته وقف عاجزا أمامها، إذ لا بد من أن (بتر) ساقه من أجل إنقاذ حياته، ولكن كيف تتم عملية البتر مع عدم توفر أبسط أجهزة الطب التي تساهم في العملية التي تعد طبيا من العمليات (فوق الكبرى).

جلس الطبيب فترة يفكر بهذا الطفل الجميل الذي بينه والموت وقتا قد لا يتجاوز الساعة، وهو في حيرة من أمره، قرر إجراء العملية بعد موافقة ذوي الطفل، وقف أمامهم وهو يعيش لحظة صمت والكل ينتظر منه حلا، نظر في وجه والد الطفل قائلاً: سأجري العملية فالطفل لا ينجوا إلا إذا بترت ساقه، ولعدم توفر وسائل البتر الطبية كان لا بد من المجازفة، بأن يكون البتر بالمنشار والسكين الاعتيادي أي غير الطبي، فصمت الأب ومن معه من الكوادر الطبية برهة والكل ينتظر منه رداً سريعاً. وبعد متممة ودعاء وحركة في حبات مسبحته، وكأنه استخار الله، وإن الاستخارة أشارت الى أمر فيه خير، أو ما برأسه إشارة على الموافقة لإجراء العملية، فأدخل الطفل الى غرفة خاصة ولكن ليست غرفة عمليات كبرى، بل هي غرفة عمليات صغرى تستخدم للتضميد وزرق الأبر وتجبير الكسور وغيرها لا أكثر، وتم زرق الطفل بإبرة (بنج عام)، وبدأت العملية بمجازفة لم تحدث في كل الحالات الطبية في حالات السلم أو في حالات الحرب، وبعد ساعة ونصف خرج الطبيب وقد ترك الطفل بين الحياة والموت، وأخبر والديه أن العملية تمت بنجاح ولكن الطفل يحتاج الى

رعاية إلهية لذلك أسألکم جميعا الصلاة والدعاء له بالشفاء.
 وقف الجميع للصلاة والدعاء، ومرت ثلاثة ساعات حتى
 عاد الطبيب وقد زفت عيناه البشري قبل لسانه لذوي الطفل،
 ثم هوى على الأرض ساجدا لله شكرا وبعد الفراغ التفت الى
 الجميع قائلا: كانت المجازفة كبيرة وخطيرة ولكن لا بديل لها،
 ونسبة النجاح كانت صفر بالمئة، إلا أن الله سبحانه وتعالى كان
 له الأمر بأن نتصر وننقذ هذا الطفل، وأعلن أن هذه العملية هي
 من ضمن حالات الإعجاز الإلهي التي تحققت في أمري ومع
 أهلها الذين يعيشون أقسى فترة حصار وحرب في آن واحد،
 وإن الله مع الصابرين، وإني لم أجرؤ على إجراء هذه العملية
 وبطريقة تنافي كل الاجراءات الطبية، إلا بعد أن تيقنت أن الله
 معنا، خاصة حين حدثت قبل هذه المعجزة معجزة سبقتها، هي
 من دفعنتي للمجازفة بهذا الشكل وإجراء هذه العملية، والحمد
 لله حمد الشاكرين، ونسأل الله تمام العافية لهذا الطفل الذي فقد
 ساقه.

لم تتكلم الأم بشيء وقد انشغلت مع مسبحتها حتى سألها
 الطبيب: كنت أتمنى أن أسمع منك كلمة تعينيني بها على ما أنا

فيه، أو يكون لك رأي، فقالت له: من كان مع الله كان الله معه، وكنت على يقين أن الله معنا، لذلك كنت مطمئنة لأنني تركت الأمر لمن بيده ملكوت كل شيء العزيز القدير، أما ما تحدثت به من حالات إعجاز أظن أن لها أسباب، ومنها حالة التكافل التي اتبعها أهالي أمري وأصبحت المدينة بأكملها كأنها عائلة واحدة هي السبب بكل هذا اللطف الإلهي، تطبخ كل عدة بيوت بقدر واحد وتأكل منه سوية رعاية للحالة التكافلية والأنسانية فيما بينهم، والكل يؤثر على نفسه وقد أخذت منه الخصاصة وطرا مؤلما دون أن يبان عليه شيء. فكان كلامها لمن سمعه كأنه ماء معين في جوف ظاميء، أنعش الجميع ومنحهم عزما وثقة بالله أكثر، ومرت الأيام ورحل الطغاة وبقيت أمري.

أم الشهيد

ثلثا العالم هي، ولا أدري لماذا قالوا إنها نصفه. هكذا رأيتها امرأة لا تكيل حين تعطي، بل تُهيل حين تريد بكل سخاء، ولا تنتظر الرد من أي شخص كان. نخلة عراقية معطاءة يراها الناس وخاصة ممن حولها الوعاء الأوفر والجود الأشهر، سحابة مثقلة بالحب والحنان، مؤمنة تقضي معظم أوقات ليلها في تهجد وتلاوة للقرآن. عندما دخلت عصابات القاعدة الى سامراء، كانت من ضمن الأهداف التي يبحثون عنها، حيث تم اقتحام بيتها في ليلة كانت شاهد على أبشع جريمة ارتكبت في هذه البقعة من الأرض حيث تسكن في أرضها الزراعية، وفي بيت متواضع إلا إنه بيت مشع بما تفضي عليه من جمال روح وسكينة قلب. لم تكن تتوقع أن تتعرض الى هذه الجريمة، فقد جزروا ولدها (حسين) أمام عينها لا لذنوب اقترفه سوى أن اسمه (حسين) فقط، ورغم شدة المصاب غير أنها وقفت بقوة أمامهم ونالت منهم ما يستحقونه

من كلام، ولا قوة لها سوى الكلام، وماذا تفعل وبأي شيء تقااتل هذه العصابة المدججة بالأسلحة، فأغاضهم كلامها ولم يراعوا أنها مشكلة بولدها الوحيد وهم من أكلها به وأمام عينها، حيث عزل الرأس عن الجسد، فركلها كبيرهم برجله وأمر حاشيته بتكثيفها، وأخذوها أسيرة رغم كبر سنها، وعند وصولها الى مقر السوء الذي تجمعوا فيها، ربطوها الى عمود خشبي أعد لهكذا حالة وأمر بجلدها بالسوط، وما بين جلدة وجلدة آه وألف آه، وما بين سوط وسوط يصرخ الجرح (الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)، وما بين قيد وقيد تحتمي الحشمة ويلوذ الحجاب، حتى أغشي عليها وفقدت وعيها، وحين أفاقت وإذا بها أمام جثة ولدها وقد وضعوا رأسه بين يديها، بعد أن أعادوها الى بيتها الذي سال فيه دم فلذة كبدها من زوجها الذي أعدمه (الطاغية قبلهم) بتهمة العمالة الوهمية التي كانت توجه الى أي شخص شيعي رجل كان أم امرأة.

أرادت أن تصرخ ليأتي لها الجيران فيعينوها على مصابها فلم تستطع، بكت حتى أغشي عليها ونامت بجانب ولدها حتى الصباح، وحين أفاقت وجدت الناس من حولها، وقد حملوا الجثة

الى المغتسل، وبعد ذلك نقلت الجنازة الى مدينة النجف الأشرف لتدفن هناك بجوار قبر الأب المعدم ظلماً، وبهذا بقيت امرأة بحال مفجوع وقلب مكلوم، وحيدة بلا معين ولا جليس في بيت موحش يخيم عليه الحزن، وكلما شعرت بأن الحزن أخذ منها مأخذاً تحاول أن تتأسى بسيدة كربلاء زينب عليها السلام.

في القرية طفل بعمر اثني عشر سنة كان يبعثه أبوه لها ليرى ما تحتاجه من مساعدة، وكان دائماً تعطيه مبلغاً من المال ليتبضع لها بعض ما تحتاجه من مواد غذائية والحاجات الأخرى من السوق الذي يعمل فيه والده، مرت الأيام ووشي أمره الى عصابة القاعدة من امرأة كانت، هي من أبلغت عنها وعن ولدها، وتابعوا الطفل من بيته الى السوق وهو قرب والده وأمروا والده بأن ينفرد عنه، ولأنه رفض والطفل لاذ به، سدّد أحدهم بندقيته على ساق الأب وأصابها برصاصة أسقطته على الأرض، ثم بادر الآخر برمي الولد ثلاثة إطلاقات وأرداه قتيلاً أمام نظر أبيه وعامة الناس التي عجزت من أن تفعل أي شيء وتركوه جثة هامدة غارقة بفيض أوردتها ورحلوا دون مبالاة من أحد، وكل ذنبه أنه ساعد أم حسين لا أكثر كونها وحيدة، وبقي الجميع بصمت

ينظر بعضهم لبعض دون أن يقترب منه أحد، حتى اقترب شيخ طاعن بالسن فوبخ الجميع قائلاً: كأني أرى الرجال غابت عنهم الغيرة وغادرتهم الحمية، ابشروا بالذل والهوان ما دمتم بلا إرادة، وسوف تنتهك أعراضكم، وبعد أن أنهى كلامه اندفع صوب الطفل وقبله القبلة ولقنه الشهادة، مما جعل الناس أن تحتفي ضماؤها قليلاً من جديد بعد موات، فتقدم بعض الشباب وحملوا الأب الجريح الى المستشفى، وتقدم آخرون لحمل الطفل الشهيد الى المغتسل وتم تكفينه وحضر أهله وأقاربه ليكملوا التجهيز.

بعد ساعات بقيت تنتظر أم الشهيد (حسين) عودة الطفل من السوق فلم يأتي فخرجت تنظر الى الطريق المؤدي الى السوق فلم ترَ أي شيء مما دفعها أن تسأل عنه، فجاء الجواب صاعقا وأنه رحل شهيدا محتسبا، وبعد فصل بكاء لمحت تلك المرأة التي وشتها تقف عند الباب على مسافة من بيتها وهي من جاراتها وقد فضحت إبتسامتها الخفية ما حملته نفسها الأمانة بالسوء من شماتة اتجاه هذه المرأة، فعلمت حينها أن هذه المرأة هي (حمالة الحطب)، وهي من سجره في قلب أم حسين الشهيد وأم الطفل (علي)، فأقبلت عليها ووقفت أمامها بكل جرأة وخاطبتها قائلة:

قبحك الله وزادك قبحا وسود الله وجهك في الدنيا قبل الآخرة، فقدت أكلت أمهات بريئات كل ذنبن أنهن ممن من الله عليهن بالحشمة والإيمان والتقوى، فتبا لك وتعسا، وحسبنا الله، ثم عادت الى بيتها، وذكرت جارتها أم عمار أنها حين عادت من تلك المرأة ودخلت بيتها دخلت معها أهون عليها ما هي عليه من مصاب آخر ألم بها، وفور دخولها استأذنت مني ودخلت الى حجرتها وكأنها تجهز لشيء ما، ثم دخلت الحمام واغتسلت والصمت يخيم عليها، فقط طلبت مني أن أبقى عندها اليوم، ثم بدأت فرشت سجادة صلاتها وصلت، وأنا أراقبها عن قرب، ثم بدأت قواها تنهار شيئا فشيئا، بعدها سلمت وجلست تدعوا خفية، بعدها رفعت سبابتها كأنها تشير لي لكنني لم أفهم منها، بعد ثوان قليلة هوت على جبتها اليمنى، وحين اقتربت منها وجدتها وقد فاضت روحها.

جيهان

فتاة في الخامسة والعشرين من عمرها تعمل ممرضة في أحد المستوصفات الصحية في محافظة صلاح الدين، وتسكن قرية من قرى أمري التي تعرضت للاحتلال على أيدي عصابات داعش الارهابية، وقد وقعت في الأسر أواخر شهر نيسان من عام ٢٠١٤ بعد أن اجتاحت عصابة داعش قريتها، ثم اغتصبها أحد أمراء الرذيلة، وقد عانت الكثير من تصرفات هذا الأمير الداعشي، كونه يتبع سلوكيات قذرة بالتعامل معها، وقبل غصبها على الزواج منه الذي تعده اغتصابا بسبب عدم موافقتها على العقد الذي فرضه أحد شيوخ الفتنة عليها وفقا لأحكام لا علاقة لها بالشريعة الاسلامية وهي محض افتراء كانت قد أخبرتهم أنها مخطوبة لأبن خالتها وكان من المفترض أن يتزوجا بعد تخرجه من الكلية هذا العام، غير أنهم سخروا منها ولم يهتم أحد لكلامها. بقيت (جيهان) شهراً واحداً في بيت هذا الزنيم، ثم طلب منها أن

تعمل مع لجنة طبية خاصة بحكم اختصاصها.

بعد ساعتين وصلت سيارة بلون أسود واصطحبتها الى نفق في أحد الجبال الممتدة سلسلتها الى حدود صلاح الدين، وللنفق خصوصية لم تكن لغيره من الأنفاق التي استخدمها داعش في المنطقة، وبعد دخولها وجدت النفق كأنه صالة عمليات وقد جهزت بتقنيات طبية خاصة، في بادئ الأمر اعتقدت أنها صالة عمليات خاصة بمعالجة جرحى داعش على اعتبار أنهم في ظل حرب طاحنة، غير أنها صدمت حين شاهدت جثة طفل شق صدره وبطنه بشكل طولي وقد رمي على دكة للتو، فتوجست خيفة وارتعدت مفاصلها مما رأت، فقد أيقنت أن الأمر غير اعتيادي وفيه حدث فظيع، لم يحدثها أحد ولم يطلب منها شيء بداية الأمر، فقط أوقفوها في مكان ما وبقيت تنتظر لمدة ساعة تلقت فيها جرعات خوف ورعب وقلق مما شاهدته.

وصل الى (النفق) شخصية مهمة وعلمت فيما بعد أنه طبيب جراح يحمل الجنسية البريطانية، وهو المختص في جراحة الكلية وزرعها، ومعه أربعة أشخاص حماية مع شخص يحمل حقيبة، وآخر يحمل صندوقا لم تعرف ما هو وماذا فيه، دخل الى الصالة

الخاصة في النفق، وبعدها أمرت بأن تدخل لتمارس عملها الجديد، وحين وصلت الى الداخل صدمت صدمة أخرى حين وجدت فتى بعمر الثانية عشرة من عمره، تم زرقه (أبرة بنج) عام ووضعه على (السدية)، وهو يصرخ: ماذا تريدون مني أنا لست مريضا ولست بحاجة الى أي جراحة؟ ولكن البنج سبقه وأسكته، ومن ثم فتحت بطنه بطريقة عشوائية من قبل أحد المساعدين دون أي قيود معتادة في فتح البطن من قبل الجراحين، ثم تقدم الطبيب الجراح وبدأ يعمل بشكل طبيعي. وبعد مدة وجيزة أخرج من بطن الفتى إحدى (كليتيه) بدقة عالية، ووضعها في صندوق خاص.

وذكرت جيهان:

حين رأيتُ هذا المشهد المرعب جدا أدركتُ أن هؤلاء هم تجار الأعضاء البشرية الذين يعملون بهذه التجارة في السوق السوداء، وأن عصابات داعش قد اتفقت معهم لبيع هذه الأعضاء لهم وجهزت لممارسة هذه التجارة المرعبة. شعرت أن جسمي يرتعد كله دون هوادة، ثم قام الطبيب الجراح بفصل (الكليتين اليسرى) من الفتى الذي فارق الحياة بعدها مباشرة. ثم أمرني الطبيب

بأن أربط بطن الفتى من خلال كابسة خاصة تستخدم في الطب العدلي، وكنت متفرجة فقط دون أن توكل لي أي مهمة أخرى، كأنهم أرادوا أن أعتاد على رؤية هكذا مشاهد مرعبة، ومن ثم البدء بالعمل معهم.

كان هناك توقيت أعتد في إجراء هكذا عمليات حيث تأتي لجنة تابعة الى مافيا عالمية، كلما كان هناك صيد بشري لتقطع منه أعضاءه وهو حيّ. وفي اليوم الثاني من المهمة هذه تم تكليفي بأن أكون مساعدة للطبيب، وهنا دخلت في مسار لا علاقة له بالإنسانية، ولا أدري كيف لي القدرة على ممارسة هكذا فعل وكيف يكون لي دور فعلي فيه. دخلت في دوامة كبيرة، ولا أدري ماذا أصنع، وحين جاءوا بي الى النفق ودخلت قبل مجيء الطبيب الجراح وكادره المرافق له، انتظرت قليلا وأنا أفكر في الخلاص بطريقة ما، ولم يكن أمامي سوى الأنتحار. ثم جاءت مجموعة ومعها فتاة لم أعرف عليها بسبب ما وضعوه من لثام على وجهها، إلا إنها رمقتني بنظرة سريعة، وحين حضر الجراح ودخلنا الى صالة العمليات، وجدت الفتاة نفسها على السديّة وهي تنظر لي وعينيها غارقة بالدمع. دفعني الفضول الى أن أزيل اللثام

عن وجهها لوجود برقة عين ليست غريبة عني، وهنا وقعت الصدمة الكبرى، فقد كانت (جنار) بنت جارنا التي أقتيدت معي يوم أسري من القرية، وحين سألتها مالذي جاء بك الى هنا: قالت: أراد أحدهم اغتصابي وطعنته بسكين وقتلته وحين حاولت قتل نفسي أمسكوا بي، فقال أحدهم املوها الى النفق، وها أنا هنا لا أدري ماذا سيحل بي، وفوضت أمري الى الله، وبلا شعور رميت نفسي عليها واحتضنتها وبكيننا بحرارة وحرقة، لم أنتبه إلا وأنا في بيت مغتصبي الداعشي، وتبين أنه قد أغمي عليّ وغبت عن الوعي في تلك اللحظة، والى الآن لا أدري ماذا حدث ل(جنار)، وماذا نهوا من أعضائها، وفي أي وادٍ رميت جثتها، أم أنها ما زالت على قيد الحياة. وبسبب ما حدث جنّ جنون الأمير الداعشي، وحكمني بعشرة جلادات كل يوم، وقد توعدني أنه سيبيعي الى شيشاني آخر بعد أن أكمل الحكم البالغ ثمانين جلدة. الى هنا انتهت مذكرات جيهان التي دونتها في دفتر والذي عثرتُ عليه حين تم تحرير صلاح الدين، وللقصة تنمة ما زالت غائبة مع بطلتها جيهان.

قفص النار

في ساعة غير متوقعة بعد غروب الشمس من يوم ٣٠/١١/٢٠١٣ اعترضت أحد هذه الجماعات الارهابية سيارة قادمة من بغداد مارة بالضلعوية تقل عائلة مسيحية تتكون من رب الأسرة وزوجته وبنيتين، وكانت وجهتم الى الموصل بعد زيارة أقربائهم في بغداد، وتم إيقاف السيارة والتعرف على العائلة، هي نفسها التي وصلت عنها معلومات من شخص تابع لجماعة مهمتها متابعة هكذا أمور والابلاغ عنها، فخطفوا العائلة واقتادوها الى أحد مقرات داعش، وقد سيطر الهلع والخوف على قلوب افرادها، وبدأ الصراخ والعويل الذي أسكت بالركل في أخصص البندقية على الرأس والكتف.

وعند وصول العائلة أنزلت وأدخلت على أمير المقر فأعجب بالفتاتين، فسألهن عن أسمائهن فأجابته الكبيرة أن أسمها (نوسين) وقالت الصغيرة أن أسمها (كلستان)، فأمر بأن يتم عزل

الأب عن العائلة في معتقل قرب المقر، وارسال البنات وأمهما الى بيته في أحد قرى صلاح الدين الواقعة على سلسلة جبال حميرين، فازداد قلق العائلة، أما الأب فقد دخل في دوامة كبيرة ولأنه يعاني من مرض في القلب، ساءت حالته الصحية جدا وسقط على الأرض بعد أن ساقوا زوجته وبنتيه الى بيت الأمير بعيداً عنه ولا يعلم ماذا سيحل بهن على ايدي تلك العصابة المجرمة، وبعد ساعة تدهورت حالته الصحية دون أن يهتم به أحد، وحين طلب منهم أن يناوله أحدهم علاجه في حقيبه في السيارة سخروا منه وتركوه يعاني حتى فارق الحياة، وبقي مرمياً حتى الصباح في المعتقل، وحين تفقدوه وجدوه ميتا فنقلوه الى الوادي ليرمى هناك دون أي احترام لإنسانيته ولا حرمة كونه ميتا.

مرت ساعات الليل وتلتها ساعات النهار، والزوجة في غفلة عمّا جرى لزوجها وقبلها البنتان وبعد غروب الليلة الثانية، عاد أمير الرعب الى بيته، وقد دعا الأم والبنتين وأمرهنّ إعلان إسلامهن فدولته الاسلامية كما يسميها لا تسمح بأيّ ديانة أخرى فيها، ومن يعارض سيقتل بسيف الاسلام كما يدعي، رفضن أن يتركن ديانتهم المسيحية بالقوة، وقالت له الأم: لم نسمع من قبل أن المسلمين يجبرون الديانات الأخرى على اعتناق الدين

الاسلامي، وقد عاشت معهم أمم من الديانة اليهودية والمسيحية والأيزيدية وغيرها على مر العصور بسلام، وكان الأمير الداغشي ينصت لها ويهزُّ برأسه ساخرا منها، ثم صرخ بوجهها قائلاً: كفى سخفاً، هؤلاء الذين تقصدينهم لا يمثلون الاسلام، نحن الاسلام وسأرغمك على اعتناق الدين الاسلامي، فارتعبن منه خوفاً ولاذت كل واحدة منهنّ بالأخرى، ثم قال: الآن عليكنّ إعلان اسلامكنّ، ثم صمت قليلاً وأكمل حديثه: حتى أختار منكنّ زوجة لي وهو يتصفح وجه كلٍ منهنّ دون حياء.

لم توافق الأم ولا الفتاتين، ثم قالت نوسين: أنا وأختي راهبات فلا يمكن لنا أن نتزوج ولا أن نعتنق الدين الاسلامي، فأثار قولها غضبه، وزجر قائلاً: لا راهبات عندنا في الاسلام ولا يهمني إن كنت راهبة أم لا، سأتزوجك رغماً عنك وسأمنحك فرصة الى يوم غد للتفكير، وفي الليلة القادمة ستكونين زوجة لي ثم خرج بعد أن تلقى مكاملة عاجلة. أعيدت الأم وبنيتها الى غرفة في بيته الكبير والذي تحرسه مجموعة مسلحة وفيه عدد من الخدم، لم يقترب منهن أحد ماعدا الخادمة التي تحضر لهن الطعام في كل وقت.

مرت الساعات بقلق وتوتر ورعب، حتى جاء موعد الليلة التالية وحضر الأمير الى البيت منتصف الليل، فأمر بإحضار الثلاثة (الأم وبناتها)، وكرر ذات الأمر عليهن، فرفضن طلبه مرة أخرى، فقهقه طويلا ونهض من كرسيه منفعلا ووقف أمام الأم وأشهر مسدسه ووضع فوهته في رأسها قائلا: أتعلمين ماذا سيحل بك أنت وبناتك في حال بقيت على اصرارك هذا؟ سأحرقك وكرر قوله سأحرقك في النار وأنت حيّة، ثم صمت قليلا ودار حول نفسه، وأكمل تهديده قائلا: رغما عن أنفك وأنف بناتك ستسلمين ولسبب واحد مهم جدا وهو حتى أتمكن من أن أتزوج (نوسين) الجميلة هذه ثم اقترب منها وحاول مس خدها، فابتعدت عنه، فأثارته جدا، فأمر بأن تساق الى أحد الغرف وأغلق الباب عليها، ثم التفت الى الأم قائلا: الآن إما أن تسلمين أو سأحرقك، فرفضت أن تسلم بالقوة، فأمر بتجهيز القفص الحديدي الذي أستخدم من قبل في تنفيذ مثل هكذا جرائم، وجهزوا الحطب والنفط، وضعت الأم في القفص وأحرقت حيّة أمام ابنتها (كلستان) في مشهد مرعب ودون رحمة، حتى أغمي على كلستان وهوت الى الأرض بعد صرخة طويلة صرختها.

بعد ساعة أفاقت وإذا هي في ذات المكان الذي حاكمهن فيه

هي وأمها وأختها، وفي الوقت نفسه خرجت أختها (نوسين) من الغرفة التي أغلقت عليها محمولة جثة هامدة غارقة بالدم، وعلمت من خلال الأمير نفسه أنه اغتصبها ثم قتلها لأنها بصقت في وجهه، وخرج وهو ينظر نظرة شامت (بكلمة) التي أخرجها المشهد الأول والمشهد الثاني وشخصت عينيها.

بعد دقائق احترقت فيها كل القيم الإنسانية واطلمت في عين كلستان الحياة وعاشت لحظات يأس وانتظار مصير لا تعلم ما هو، وهي بين غيبوبة وإفاقة سمعته يقول: عفونا عن كلستان، خذوها وارموها في الشارع العام، ونفذوا الأمر، فتركت الفتاة في تلك الليلة في العراء لمفردها. وبعد انتظار طويل وقفت سيارة (كيا) حملت وحملتها إلى مستشفى صلاح الدين، وحين وصولها إلى الطوارئ اهتمت بها ممرضة مسيحية، وبقيت معها حتى الصباح وقد روت قصتها كاملة إلى الممرضة، ووقدت في المستشفى ثلاثة أيام قبل أن تفارق الحياة.

لعبة الوعي

رغم تفاهة الفكر الداعشي وعقيدته الممسوخة، غير أنه تمكن في أن يزرعها في كثير من العقول الخاوية الجوفاء، وبطرق مختلفة وفقا لخطط أعدت ودراسات للمجتمع الذي يمكنه حمل هكذا فايروسات تعبث بخلايا الدماغ، وربما جرت برمجته في حاضنات غربية لأن التنظيم كان مجرد أداة تنفيذ.

فكانت الجهات المبرمجة تعي تماما في أي بقعة وفي أي فصيلة من الناس تكتمل الجهوزية لتمرير هكذا فايروس، واختاروا الوقت المناسب لحقنه في أوردة أشباه البشر، وكذلك بالغوا في التمهيد لضمان نجاح المخطط منذ فترة قد تكون قبل اجتياح القوات الأمريكية وحلفائها للعراق، كما أن هناك أكثر من خدعة تم خداع الناس فيها وخاصة الشباب، حيث قامت عصابات التطرف بتنفيذ حالات مفبركة ليوهم بها مجموعة من الناس وتحفزهم على التمسك بمعتقداتهم، حتى أنهم استخدموا

الشعوذة والسحر للإيقاع بتلك العقول الفارغة والتي أعدت لاستقبال ما يملى عليها، في لعبة تمارس ضد الوعي للتلاعب بمجسات التفكير للفرد وبالتالي تغيير منظومة تفكيره والتلاعب بها، حتى تمكنت عصابات القاعدة وداعش من زرع عقيدتهم بشكل دقيق في عقول البعض، وجندوهم للتأثير وممارسة التأثير نفسه على الآخرين.

وصل الأمر بجمع كبير من الناس بالاعتقاد بشكل غريب في كل شيء يذكر من قبل القاعدة وداعش، وخاصة حين تم تنصيب خليفة ولقب بأمر المؤمنين، وهنا وقع الوهم الأكبر، حيث أطيع الخليفة والأمرء الذين تم تنصيبهم طاعة عمياء كأن القوم نزل عليهم رسول جديد، ولديه كتاب سماوي ويجب تصديقه كما في ديانات الأمم السالفة التي سبقت الاسلام، ثم جاءت الحقنة الأكثر تدميرا وهي حقنة التكفير التي أعتمدها داعش في خرق وتمزيق المجتمعات ومن ثم خرق وتمزيق العوائل، حتى وصل الأمر بتكفير الأبن لأبيه والأخ لأخيه، وقد أرتكبت أبشع الجرائم بسبب هذا المعتقد الخطير، وفي حادثة غريبة خاصم فيها أبن الأخ عمه على أثر نقاش دار بينهما ولم يقتنع العم بما طرح

عليه من قبل ابن أخيه من معتقد متطرف ودموي، وهو أحد أفراد تنظيم داعش الارهابي، وفي النهاية حكم هذا الشخص على عمه بالقتل وقتله بتهمة التكفير لأنه لم يقبل طرحه بالانتماء الى هذه العصابات الداعشية الارهابية، وحين جاء ابن القتل ورأى المشهد وعلم أن ابن عمه قتل أبيه وجهش بالبكاء على جثة أبيه واستنكر هذه الجريمة وجه القاتل بندقيته مرة أخرى بوجه ابن عمه وقتله بتهمة الاعتراض على الحكم الذي نفذه، ثم ترك عمه وابنه قتلى وذهب وكأنه قتل حشرة، بل ذهب يسير متمايلا لبيان حالة الافتخار بما صنع.

وفي حدث آخر أكثر غرابة حين كفر أخ أخيه واعتبره ضد التنظيم كونه لم يدخل ضمن صفوفهم وبعد أن يأس من أخيه وكانا في البيت وأمهم تراقب الموقف عن كذب، ولم تتوقع أن يتطور النقاش فيما بينهم الى خلاف يصل الى استخدام السلاح، وصدمت حين شاهدت ولدها الداعشي أشهر بوجه أخيه السلاح فصرخت به قائلة: ماذا دهاك هل جنت كيف تشهر السلاح بوجه أخيك، انظر الى أخيك لم يحرك ساكنا وكأنه يقول لك (لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ

إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) إلا إنه أجابها قائلاً: ولدك هذا كافر ويجب قتله، ثم أطلق الرصاص وأردى أخيه قتيلاً، ثم كبر وكأنه حقق نصراً كبيراً.

لم تتمالك الأم نفسها وقد تُكَلِّت بولديها بعد أن فجعت بهذه الفاجعة، قالت له قبحك الله ولعنك أنت الكافر والخارج عن دين الله، ورمت بنفسها على جثة ولدها القليل، فاستشاط غضباً ووجهه بندقيته صوب جسد أمه واخترقه الرصاص وسقطت قتيلاً بجانب ولدها، وهو يقول: وجب قتلك يا كافرة، وتركهما وخرج مسرعاً إلى الأمير يذف له البشرى بأنه قتل أمه وأخيه لينال جائزته.

وقد وصفت من الجرائم بأنها الأكثر بشاعة وقسوة من بين الجرائم التي نفذتها عصابات داعش، وفي نفس المدينة نفذت عدة جرائم مشابهة، حيث فجر شخص ينتمي إلى تنظيم داعش نفسه بعد أن دخل وهو يحمل حزاماً ناسفاً إلى مكان اجتمع فيه أفراد من عشيرته في مناسبة خاصة وارتكب مجزرة راح ضحيتها العشرات ومن بينهم أطفال ونساء، وحين أعلن تنظيم داعش مسؤوليته واسم الانتحاري الذي نفذ الهجوم كانت صدمة للعشيرة كون

المنفذ من أبناء عمومته، والصدمة سببت لوالده جلطة دماغية لم يصحو منها أبداً حيث أصيب بشلل رباعي وبقي مقعداً على كرسي متحرك حتى أوفاه الأجل بعد سنة من يوم الحادثة.

كنت أراقب هذا الداعشي الذي قتل أمه وأخيه بدم بارد كلما سنحت الفرصة، أردت أن أرى ما هي نهايته هل يأتي يوم ويندم على ما اقترفه من جريمة بشعة، هذا كان هاجسي لعظم فعلته تلك، وساعة تنفيذه الجريمة وخرج من الدار بسلاحه رأيتني لأنني خرجت هرعت على صوت الرصاص، وترك الباب مفتوحاً على مصراعيه فدخل الجيران ومنهم أقرباء وأبناء عم له وأحد أخواله، فشهدوا الواقعة وكنت معهم، فقد وجدنا الأم محتضنة لولدها الذي سبقها في حمام دمه.

بعد أن دفنت هي وأبناها في المقبرة، أرسل مجموعة من عصابته يحذر خاله من أن يقيم مجلس الفاتحة، وبعد ثلاثة أيام شيعنا أحد المغدورين الذين عثرنا عليه في البادية بعد غياب طال عشرة أيام، وكان الدفن بالقرب من قبر تلك المرأة وولدها وجدته على قبر كل منهما كلمة كافر وحينها كنت على يقين أنه هو من كتبها ذلك المجرم (مناف عبد الرحمن).

سكين الذبح

أيام لا تنسى وجرائم وثقتها دماء المناحر وشهدت عليها الرؤوس المقطوعة والأجساد التي مزقتها موجات العصف في أثناء الانفجارات المرعبة التي نفذتها الجماعات الارهابية، مشاهد باقية تنزف في الذاكرة مهما تعاقبت السنين. بعد عام ٢٠٠٥ اتخذ تنظيم القاعدة في العراق منهجا ارهابيا آخر رديفا للتفجير بواسطة السيارات المفخخة والأحزمة الناسفة، وهو الذبح على الهوية والمعني الأول هو المذهب الشيعي ومن يخالفهم من المذاهب والديانات الأخرى، وخاصة من يعمل موظفا في الدولة وبأي مفصل كان، وهناك مناطق أطلق عليها مسمى محطات الموت في ضواحي بغداد ومنها مناطق (اللطفية واليوسفية والطارمية) وغيرها، وفي أوقات معينة تم قطع طريق بغداد باتجاه مدن الفرات الاوسط كربلاء وبابل والنجف وما يتبعها، حيث تنصب سيطرات على الطريق بشكل مفاجيء وتقوم بإيقاف

السيارات ذهابا وإيابا وخطف من فيها أو قتلهم مباشرة، وراح ضحية هذه المحاولات الارهابية الآلاف من المواطنين العراقيين. (آفاق ناجي جاسم) شاب بعمر الورد أحد منتسبي قوات الأمن الداخلي وهو الولد البكر للعائلة، من سكنة ناحية اليوسفية التي نشطت فيها عصابات القاعدة بشكل ملفت، تم تهديده بترك وظيفته وإلا سيقتل، وحين استشار والده وبعض المقربين منه نصحوه بترك الوظيفة واخبار مسؤوليه بالتهديد حفاظا على روحه، وفعلا تفهم مديره الوضع وترك الوظيفة وجلس في البيت، وبعد خمسة أيام اقتحمت مجموعة من تنظيم القاعدة الارهابي بيته واقتادوه بعنف من أمام أنظار أمه التي أربعها الموقف جدا ويئست من ولدها، وعند الباب رمقها بنظرة كأنه يودعها، ورغم محاولات عديدة من أهله ومعارفهم لم يعثر عليه، ولم يصلهم أي خبر عنه.

بعد اسبوع من خطفه وردت أخبار أن هناك جثث رميت على أحد مشاريع المبازل في اليوسفية، وهرع الأهالي ممن لديهم مغيين معه بعد خطفهم الى المكان ومن بينهم والد (آفاق) الذي يعمل فلاحا في أرض أحد المزارعين في اليوسفية، وحين وصل

صدم من المشهد الذي وجد ولده فيه، فقد ذبح من الوريد الى الوريد ولم يتبقى من رقبته إلا جلدة متعلقة تربط الجسد بالرأس وكذلك حال الجثث الأخرى وعددها ستة، وحينها شعر أن قواه انهارت تماما وقد قطع الإرهاب كبده ورموه أمام عينه، حملت كل عائلة جثة ولدها، وحمل جثة ولده بمساعدة ممن كان معه من أقربائه الذين جاءوا من كربلاء بعد سماعهم خبر الخطف. وذكر أحد المعتقلين لدى القوات الأمنية فيما بعد طريقة الذبح التي تمت وكان هو أحد الذبّاحين وذكر أسماء الضحايا ومن بينهم آفاق، وهو من وشى به الى العصابة كونه جاره وصديقه، والبقية تم خطفهم من على طريق كربلاء بغداد، وهو من قام بذبح (آفاق)، وذكر أنه ما زال يتذكر توسله به من أجل أن لا يذبحه بالسكين وطلب منه أن يقتله رميا بالرصاص، لكن الذبّاح رفض ذلك كونه وحسب ما أدلى به أن الأمر الصادر له يجب أن تتم العملية ذبحا وليس رميا بالرصاص، والذبح له تقييم خاص للذبّاح تتم من خلاله ترقيته الى منصب (أمير)، حسب معتقدهم بعد أن يكمل العدد المطلوب ذبحا بالسكين.

وصلت الجثة الى المعتسل في كربلاء وحين وضعت على دكة

المغتسل وراها المشيعون من الأقارب والأحبة أذهل منظرها كل من حضر، فقد تعرض جسده الى طعن بواسطة قضيب حديد و(كيّ) بالنار وتم تعذيبه بشكل فضيع قبل ذبحه، أما والدته التي قضت أياما في العناية المركزة بعد أن فقدت وعيها في مشهد عزاء أبكت فيه كل من شاهدها حين فجعت بولدها البكر، وبالطريقة التي قتل فيها، بقيت الى الآن تنعاه باكية كلما غربت الشمس، تلك الأم التي كانت تتأمل أن تراه عريسا تفرح به لا ذبيحا، وبعد الدفن ومراسيم العزاء، تركت عائلة (آفاق) بيتها وما تملك في منطقة (اليوسفية) وعادت الى كربلاء لتسكن في قرية من قرى قضاء الهندية حفاظا على أخيه مشتاق الذي يبلغ من العمر في وقتها أربعة عشر سنة.

لم تكتفي عصابات القاعدة بذلك فقد بادرت بتفجير الدار بعد نهبها، أما طريق اليوسفية وجارتها اللطيفية لم تتوقف عمليات الخطف فيه، وفي السنة نفسها خطف الشاعر والصحفي (أحمد آدم) وزميله الصحفي (نجم عبد خضير) من كربلاء المقدسة حيث اغتيلوا في ١٧ أيار ٢٠٠٦ على يد عصابات القاعدة الارهابية في منطقة اللطيفية، وتوالت العمليات الارهابية في ضواحي بغداد،

ولم يتم السيطرة عليها كون هذه المناطق لها امتداد مع الفلوجة والرمادي ومناطق أخرى في العاصمة بغداد، وقد توسعت قاعدة العصابات الإرهابية بشكل لافت وبدأ بعض خطباء الجوامع بالتحريض والتكفير بشكل علني وتشكلت فرق موت متعددة وتحولت الحياة في هذه المناطق الى معازل للرعب، واستمر المشهد الدموي المرعب هذا عدة سنوات الى أن استحدثت عصابة أخرى وهي عصابة داعش رغم أنها هو القاعدة بكل صفاتها ولكنها جاء بشكل أكثر وحشية، وأكثر بشاعة في تنفيذ الجرائم ضد أبناء العراق الذي أبتلي بهكذا فكر منحرف تكفيري دموي، وقد تمكن من السيطرة على عدة مدن، وفي يوم لا ينسى من ذاكرتي حين كنت في الطريق من الفلوجة الى بغداد لمراجعة طبيب اختصاص في جراحة الجملة العصبية لأحد الأقارب تفاجأ الجميع ممن يشاركنا الطريق بالموقف حيث تم اعتراض سيارة خاصة تحمل عائلة تتكون من زوج وزوجته وطفلة بعمر ثلاث سنوات وأنزل الزوج من السيارة بعنف من قبل العصابة وقيدت يديه ورجليه بحبل وذبح في الشارع العام أمام المارة بشكل خاطف وغادروا المكان، أما المشهد الأكثر قسوة حين حاولت الطفلة فك يدها من

بين يدي أمها وهرولت نحو جثة أبيها وهوت عليه وقد حاول
أحد الأشخاص تدارك الأمر ورفعها عن فوجدها ميتة، جلس
يلطم على رأسه بحالة هستيرية.

أم العراق

كانت كالندی حين نزلت بسكون مهيب لتمنحهم أملا في الحياة من جديد، ظللت عليهم كالنخلة واستراحت نفوسهم بفيئها واستقرت أفئدتهم تحت قوامها الشامخ عزة وسؤددا، امرأة مختلفة بكل شيء والأشجع من بين نساء عصرها على الاطلاق، شعلة من الوفاء والإيثار والتحدي، حين أمرت ولدها (خالد) أن يذهب للنقطة التي أخبره عنها صديقه إنه فيها هو ومجموعة من رفاقه والمجيء بهم الى دارها، وهم شباب عزل هربوا من بطش عصابات داعش وأذئاب البعث مرتكبي مجزرة (سبايكر) تلك المجزرة التي دونت بدم الأبرياء من شباب العراق العزل على صفحات التاريخ المعاصر، حين تم غدرهم بطريقة بشعة بعد خداعهم وجزر أكثر من ١٧٠٠ شاب عراقي بريء.

هي العراقية النبيلة (عليه صالح الجبوري) المكناة (أم قصي)، من مواليد ١٩٥٨ من سكنة ناحية العلم في صلاح الدين، وقد

أثكلت بفقد زوجها وإبنها وابن أخيها حيث أقدمت عصابات داعش على خطفهم وقطع رؤوسهم ورميهم في العراء، وقفت على جثثهم الذبيحة ورأت بعينها ذلك المشهد المروع، كان ذلك بعد أن سيطر تنظيم داعش على الموصل وصلاح الدين في حزيران عام ٢٠١٤، وكانت هذه الفاجعة الأكثر وجعاً لها وهي من ثلمت فؤادها الى ثلاث ثلمات قاسية، ورغم ذلك بقيت شاحخة وصابرة محتسبة، وهذه الجريمة لم تكن الوحيدة التي تعرضت لها تلك المناطق، فقد انتهكت عصابات داعش والقاعدة جرائم بحق الشعب العراقي من كلا الديانات والمذاهب والقوميات، وكل من يعارض سياستهم الدموية.

رسمت (أم قصي) أبهى صور الشجاعة والتحدي، حيث قدمت بنتها لترافق أخيها خالد وذلك لإيهاام داعش، حيث ألبستها نقاباً وهذه صفة لنساء داعش حتى لا يتم إيقافه ومعه امرأة منقبة، وكان النقاب لنساء داعش نوع من أنواع الخدعة للمجتمع وتكتيك آخر مارسه التنظيم، جازفت بولدها وبنتها في وقت يعد الأشد حرجاً والأكثر خطراً خاصة وإنها صاحبة تجربة مريرة مع عصابات داعش الإرهابية، وأن عصابات داعش

نفذت العديد من حالات الاغتصاب للبنات العراقيات، وما تعرضن له النساء الأيزيديات من عمليات قتل واغتصاب في الموصل خير شاهد.

انطلق (خالد) وشقيقته للوصول إلى نقطة موازية مقابل مخبأ الجنود على الجانب الآخر من نهر دجلة، حيث كان هناك زورق تجديف مركون في الساحل المقابل بالقرب من الجنود، الموقف كان صعبا جدا وعلى خالد أن يتخذ قراره ليعانق الماء، ولا خيار أمامه سوى السباحة عبر نهر دجلة، وترك أخته في هذا الجانب من نهر دجلة وحيدة بأمان الله، ثم قفز خالد في الماء، وتوجه سباحة باتجاه القارب على الجانب الآخر من النهر، ووضع سبعة أشخاص في القارب من بينهم صديقه.

ذكر خالد: اضطررت للسباحة عبر نهر دجلة مرة أخرى لجعل القارب أخف وزناً وأسرع، واضطررت إلى السباحة ودفع القارب إلى الأمام، وبينما كان أحد الجنود يقوم بالتجديف، وصلنا أخيرا إلى السيارة وكنت متعبا، رميت بنفسي على الشاطئ لأستريح قليلا ويخف لهائي وأتنفس بعمق لأشبع جسدي من حاجته للأوكسجين، تلك اللحظة أرعبت أختي ظنت أنني

أصبت برصاصة خاصة وأن هناك رمي مستمر يسمع وتبين فيما بعد كان بسبب ملاحقة داعش لهاريين آخرين من مجزرة داعش، وبعدها ناديتني بصوت متقطع التفت لها وطمأنتها، ومع هذا كله شعرت بالسعادة لأني حققت نصرا كبيرا وحمدت الله وشكرته خاصة بعد أن أوصلتهم بسرعة إلى المنزل وكانت أمي واقفة تنتظر على أحر من الجمر.

ولأنها تدرك جيدا مستوى الخطر الذي ينتظر الجميع، قامت أم قصي بإنشاء هوية مزورة على الورق لجميع الجنود السبعة في منزلها، تثبت أن حامل الهوية هو طالب جامعي، وقد أقدمت على هذا الفعل لإنقاذهم وإخراجهم من مختلف عمليات التدقيق والتفتيش التي تقوم بها عصابات داعش على الطرق الخارجية، ليتمكنوا من العبور من مدينة العلم إلى كركوك ومن ثم إلى بغداد. وفي إحدى السيطرات التابعة لداعش كانت عناصر داعش تقوم باستجواب الركاب جميعا، وقبل الوصول طلبت أم قصي من أحدهم أن يتظاهر بأن حالته الصحية متدهورة جدا ومغمى عليه، ثم تصرخ العائلة أن السكر مرتفع لديه جدا ويجب أن يعالج فورا وقد نجحت الخدعة، وغادر الناجون من سبايكر إلى

مدينة كركوك ومن ثم الى بغداد بفضل الكياسة والشجاعة التي تتمتع بها هذه المرأة، وكانت تشعر كأنهم أولادها وما زالت تذكر أسماءهم.

كانت هذه الوجبة التي تتكون من (سبعة) جنود هي الأكثر خطورة كونها تحمل أكثر من مغامرة، وهناك أرقام أخرى من الفارين قدمت لهم العون في الخروج من منطقة الخطر وقد وصل العدد حسب أعلى إحصائية لها الى (٥٨) جنديا تم انقاذهم من قبلها، وفي يوم عصيب آخر شاهدت أم قصي جنودا يقفزون في نهر دجلة فسارعت مع أفراد من أقاربها لإنقاذهم وإيوائهم على شكل جماعات صغيرة في أكثر من بيت، وبقي خمسة وعشرون منهم في بيتها، كما أن بعضهم بقي عندها لعدة شهور.

أما احصائيات نهر دجلة فقد كانت تشمل أحياء جازفوا في عبور النهر سباحة رغم ملاحقة رصاص داعش لهم، ومنهم من نجى بواسطة عوائل من أهالي العلم، ومنهم تمت الوشاية بهم وقتلوا على يد أفراد التنظيم الارهابي، وأموات طافت جثثهم غرقا على سطح الماء وسارت الى أهلها وكأن الماء المشيع الوحيد لها، ومنهم من أدركته رصاصات داعش.

سجلت أم قصي أسمها ورفعت صورتها على لافتات قلوب
العراقيين قبل أن تعلق على صفحات التاريخ الذي تشرف بها،
أحبها وتفاخر بها الجميع، ولقبت بأم العراق.

حزمة بارود

التطرف والسياسة كلاهما لعبة تشاكس الوعي، وبها تُستعمر العقول ويتم التحكم بها كما يرغب المستعمر فيحولها الى ريبورت يبرمجه كما يريد، لينفذ له مخططه الذي يستهدف به الشعوب، إلا أن هذه المرة اللعبة كانت دموية وأشد وحشية على الأنسانية، وقد توزعت مصاديقها على خارطة العراق وبنسب مختلفة، إلا إنها بذات القسوة، تظهر بوجوه متعددة يتم استبدالها كلما دعت الحاجة، ورغم أنها ظهرت بوجه طائفي في أكثر من مرة إلا أن ما اقترفته من جرائم قد شملت الجميع وكشف حقيقة هذه المنظمات المتطرفة والمتشددة، والغريب أن الدين دائماً يكون هو الغطاء وهو الوسيلة التي تدور حولها اللعبة.

ولكل جريمة تبرير معين وهذه المرة الارتداد عن الدين هو التبرير الأكثر سذاجة، وقد تم التعامل به مع رجل كل ذنبه أنه منتسب الى مديرية شرطة سامراء، لتكون ذريعة تلفق من خلالها

ضده تهمة المرتد، أي انه ارتد عن الدين الاسلامي حسب زعمهم وكما تعتقد عصابات داعش الارهابية. وفي يوم لم يكن كباقي الأيام بالنسبة له ولعائلته فقد كمنت مجموعة دموية من تلك العصابة الظلامية وحال وصوله الى بيته اقتحمت عليه الدار وأرعبت زوجته وأطفاله ثم قيدته بعد أن انهالت عليه بالضرب وبألفاظ مقززة وقذرة جدا، ثم تم وضعه في صندوق سيارته التي صادروها وأخذوه الى أحد المسالخ التي يتم فيها سلخ بني آدم والتي أعدت من قبلهم، واختاروا له قتلة غريبة حيث ربطوا على رأسه حزمة من أعواد البارود التي تستخدم في خراطيش القذائف المدفعية مع صاعق قذح وأطلقت عليه النار بواسطة مسدس حتى تفجر رأسه في مشهد ضحكوا له كثيرا وكأنهم نجحوا في اطلاق صاروخ الى الفضاء، أو حصلوا على براءة اختراع في هكذا ابتكار لقتل الأنسان، ثم تم رميه في العراء وحسب ما ذكرت زوجته هند بعد مطالبتها بجثته، أخبروها انهم يريدون أن تأكله الكلاب والسباع في البوادي، ولم يوافقوا على تسليمها الجثة لدفنها، كان ذلك عام ٢٠١٤ بداية دخول داعش الى محافظة صلاح الدين وقبلها الى الموصل، كما أنهم منعوها من

إقامة العزاء وتم تهديها بالسبي في حال أي محاولة لإقامة العزاء، كما طالبوها بثمان الإطلاقة التي فجرت رأسه، كأنهم أرادوا أن يقولوا نحن النسخة الثانية لحزب البعث وزمره الصدامية التي سبق لها وأن كانت تطالب ذوي المعدوم بثمان الإطلاقة في الثمانينات من القرن الماضي إبان الحرب العراقية الإيرانية.

بعد أيام عادوا بأسلوب أكثر وحشية واقتحموا الدار مرة أخرى، واقتادوا أطفاله الأربعة دون مبالاة وحين تشبث بأصغرهم ركلها أحدهم بصدرها وضربها الآخر على رأسها بأخمص البندقية وهوت على الأرض مغشيا عليها، ثم اقتادوا الأطفال أسارى وأمام أنظار أهالي المنطقة الذين التزموا الصمت خشية أن يتعرضوا للوحشية من قبل تلك الزمرة الدموية، وبعد أن أعادت وعيها وجدت نفسها وحيدة وكأنها لم تنجب أطفالا من قبل.

بعد ثلاثة ساعات وردها خبرا بأن أولادها بانتظارها خارج المدينة خلف التل الغربي، ذهبت مهرولة وهي لا تعلم بأي حال ستجدهم، إلا أن هناك أملا ضعيفا شد من عزمها وقد رافقها أحد الجيران مع زوجته، وحين وصلت الى المكان فقدت صوابها وصرخت بأعلى صوتها يا الله وهوت على الأرض حين رأت أطفالها

الأربعة مجزرين كالأضاحي، في مشهد وحشي لم يسبق له مثيل، ثم نهضت لترمي بنفسها على جثتهم المقطعة وخضبت وجهها وشعرها بدمائهم الساخنة التي لم تبرد بعد، وهي حائرة لمن تحتضن منهم ومن تترك، أوصال الصغير ذو الثلاثة سنوات أم الذي يليه ذو الخمسة سنوات أم الثالث أم الرابع وكلهم بذات المصاب القاهر، وكل ما التفت لأحد منهم ترفع شيئاً منه الى السماء وتصرخ: يارب ما ذنب هذا الطفل أن يجزر جسده ويقطع كما ترى يا الله، حسبي أنت ولا حول ولا قوة إلا بك، فوضت أمري إليك وحدك، ثم تبكي وتنوح نياح مثقلة بأربعة مجزرين بين يديها، كما أن جارها وزوجته لم يجرؤ أحد منهما أن يهون عليها لعظم مصابها فقد غارت كل الكلمات أمام هذا الخطب العظيم، وأي كلمة تقال لها وهي في هذا الحال، فقد أخرست الكلمات وتلعثمت كل اللغات سوى البكاء والعيول، بعدها اتصل جارها بأهلها وجاءوا ليحملوا تلك الأشلاء وكأنها افترست من قبل الكلاب البرية الوحشية، وفعلا لا يليق بقاتليهم سوى هذا الوصف.

بعد أيام قليلة عادوا مرة ثالثة وأنياهم عطشى لدماء بريئة جديدة أخرى حيث أجهزوا على أولاد الشهيد من زوجته الثانية

وهم ثلاثة أطفال، واقتادوهم الى مسلخ الطفولة وجزرت جثثهم بطريقة وحشية أبكت الأرض التي قطعوا عليها، وكان أصغرهم بعمر سنتين فأثكلت الأم الثانية بأطفالها والتي على أثر تلك الفاجعة فقدت عقلها وبقيت تدور في الشوارع وتنادي بأسمائهم وتسال المارة عنهم، وكلما سألت أحد أبكته دما على حالها.

سبعة أطفال قتلوا لأن أبيهم كان شرطيا وقد سبقهم للمنية بتهمة الارتداد عن دين الله حسب زعمهم، وكأن الأنتساب الى الشرطة التي تحرس الشعب هو الارتداد بعينه، فأى دين تحمل تلك العصابة، وكلما عرضت عقيدتهم الضالة هذه على العقل يصل الى اليقين بل الى حق اليقين أن هؤلاء لديهم أكثر من مهمة تم تكليفهم بها، وأولها تشويه صورة الدين الاسلامي بعين العالم من جهة، وفي نفوس المسلمين أنفسهم من جهة أخرى، خاصة من كان يعبد الله على حرف، ومن هو خاضع لنزوات وشهوات الدنيا، إلا أنهم مكروا ومكر الله، وجند أهل الحق ليضربوا عنق الفتنة وقطع دابرها حين تمت تلبية نداء فتوى الدفاع الكفائي، وفتحت موانئ الأوردة لتغسل أرض العراق من دنسهم.

كلمة السر

وقعت مدينة الفلوجة تحت سيطرة شبه تامة لعصابات القاعدة الارهابية الى فترة طويلة، ثم سيطر تنظيم داعش فترة أخرى، بعد أن أوهم بعض خطباء الفتة فيها الناس، وروجوا الطائفية بشكل مشير، حتى اقتنع الناس بما اتاهم، إلا أن الأيام كفيلة بأن تسقط احدوثة هؤلاء الفاسقين. وفي الفترة الأخيرة التي تكشف نيات داعش وانفضحت حقيقتهم، بدأ التذمر منهم ومعارضتهم في بعض الأفعال، لذلك اضطرت هذه العصابة الى أن تكشر عن أنيابها وباشرت باستخدام العنف ضد الأهالي، ومنها القتل والتمثيل بجث البعض ممن رفض الاجراءات التعسفية التي تتبعها داعش، وكذلك الشباب الذين رفضوا الأنخراط ضمن صفوف داعش، فضلا عن الحصار الجائر الذي فرض بشكل تام على الأهالي، كما أن هناك من اتبع اسلوب تصفية الحسابات مع خصومه، ومن بينها ما أقدم عليه الارهابي الملقب (أبو عمر) ضد أحد الأشخاص الذي

يكن له البغضاء، وهو من عشيرته، إذ أخبر عنه أميره المزعوم بأن هذه الشخص أسمه حسين وسبب تسميته فيها حكاية، وأن والديه لم ينجبا لمدة عشرة سنوات، وحسب زعمهم أنهم طلبوا هذا الولد من (علي بن أبي طالب) بعد أن نصحها أحد المحبين بزيارة قبره في النجف وطلبا منه ولدا، وأسموه (حسينا) بعد أن شاء الله أن يرزقهم ولداً، ومنذ ذلك الحين، قبل أكثر من ستين سنة، وكلما تمر ذكرى تلك الولادة فانهم يقيمون مأدبة يسمونها (فال علي)، وهذا كفر يجب أن يقتلوا عليه لأنهم بفعلهم هذا خرجوا عن الدين الاسلامي، كونهم يفعلون ما يفعله الروافض من شرك بالله. وعلى أثر هذه الوشاية الخبيثة أمر الأمير باقتحام الدار وأسر الأب المسمى (حسين)، واقتيد بطريقة وحشية الى الأمير وأوقفوه مقيدا أمامه كما يقيد مرتكبي الجرائم، فوجه الأمير الداعشي له سؤالاً:

- من أي طائفة أنت، وما هو اسمك؟
- أنا من السنة، أنا وأبي وأجدادي وأسمي حسين
- فقده الأمير بخبث وسخرية قائلاً:
- لماذا سميت حسين؟

- أعلم ماذا تريدني أن أقوله ولا يهمني ذلك، نعم أبي طلبني من الله متوسلا له بخليفة المسلمين الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولأنه كان يائسا من أن يرزق بولد، قال سأسميه حسين على اسم ولده الحسين، فأسماني حسينا.

- وتترضى على علي ويحك، وما قصة (فال علي) هذه؟

- هذا تقليد يتبعه الكثير من السنة، هو بذل طعام يوزع على

الناس، وما يغيظك منه ..؟

فانتفض الأمير الداعشي غاضبا وهو يزجر قائلا:

سأقطع رأسك كما قطع شمرا رأس (حسين) في كربلاء،
وأثلج قلب سيدي أمير المؤمنين يزيد بن معاوية رضي الله عنه.

ثم همس سرا بأذن أحدهم قائلا: خذوه سرا ولا يعلم بكم
أحد وأقيموا القصاص على هذا المرتد، كما أعلم أنه من وجهاء
قومه وقد يثير قتله مشكلة.

جاءوا به الى صخرة سبق وإن نحر عليها المئات من أهل
العراق الذين خطفوا، بعد أن أوكلوا به شابا والذي بدوره
تحايل على من رافقه الى المسلخ، وصرفه بطريقة ما على أن يقيم
هو الحد ويلتحق به، وبعد أن اختلى به فكَّ قيده، وأطلق سراحه

بعد أن طلب منه أن ينجفي من المدينة، ونصحه بأن يهرب صوب الجنوب حتى يضمن بقاءه على قيد الحياة، حيث أوصله الى مكان آمن وعاد، إلا إنه كان ملثما ولم يفصح عن شخصيته. وبعد تحرير مدينة الفلوجة عاد (حسين) الى عائلته التي يئست منه لعدم تمكنه من الاتصال بهم لمصادرة نقاله على يد داعش ولم يحفظ اي رقم هاتف لهم، وفي الوقت نفسه كان حذرا من أن يتسرب الخبر ويلجأ داعش الى أذية عائلته، بعد أن ودّع عائلة أبي مرتضى الأسدي من مدينة الحلة وشاكرهم فضلهم طيلة تلك الفترة التي قضاها معهم.

مرت الأيام وقد جمعت الصدفة بمن أنقذه، وهو يقول له كلمة السر التي قالها له حين الوداع وهي (علي الدر والذهب المصفى) فاحتضنه باكيا وبعد لحظات صمتٍ حائرةٍ سأله، كيف لك أن جمعت بين الأمرين، ويقصد داعش وطيبته.

بهذه الطريقة تمكنت من أن أنقذ خمسة عشر شخصا من الذبح من بينهم أنت، جازفت كثيرا، ولكن نُجرت رقاب أمامي كثيرة لم أتمكن من أن انقذها.

ما هو أصعب موقف مررت به.؟

أعدت إلي موقفا كنت أتمنى دائما نسيانه، لثقله على نفسي كونه ترك أثرا وصدعا كبيرا في قلبي، حين جاءوا بامرأة مع طفلها كانت قد أسرت بعد قتل زوجها على الطريق العام باتجاه الرطبة، والظاهر أنها رفضت أن تلبى ملذاتهم الدنيئة، فذبح طفلها أمامها بطريقة شعرت فيها أن الأرض اهتزت لذلك المصاب، أما حال أمه فقد هدم كياني، ومن ثم ذبحت أمه وهي مثقلة به، فاعترفت بدرجة الجبن التي كنت فيها في ذلك الحين المريب، والى الآن كلما تذكرته اشعر بالضعف والانكسار.

- لا تسميه ضعفا أو جينا ولا انكسارا، بل هو الصبر حتى تكمل مهمتك بما أتاك الله من فضله، (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا).

شعر بهدوء بعد سماع هذه الكلمات، ثم طلب من حسين أن يبقي هذا الأمر سرا ولا يبوح به، إلا بعد أن تقلع الفتنة من جذورها.

وعند دخول القوات الأمنية الى الفلوجة لتحريرها، بعد إعلان فتوى الدفاع الكفائي، قامت بعض العوائل بالخروج من أحد الطرق الى ناحية الصقلاوية آملين الخلاص والوصول الى

القوات الأمنية، إلا أن هذا الطريق أوقعهم في مكان كان يسيطر عليه تنظيم داعش، حيث قامت تلك الزمرة باطلاق النار بشكل عشوائي عليهم وقتل ثلاثة شبان وشيخين وامرأة وطفلين وأصيب عدد منهم ثم غادرت الزمرة الداعشية المكان فورا بعد أن داهمتها قوات الأمن التي قامت بدورها بانقاذ الجرحى وتأمين حياة الأحياء منهم.

شواء

التحق أربعة من منتسبي الشرطة العاملين في مركز شرطة الفلوجة، وعلى مقربة من المدينة اعترضتهم في منتصف الطريق سيطرة تابعة لعصابة داعش منتصف الطريق، ورغم أنهم لم يكونوا على علم بتطورات الأحداث في الفلوجة غير أنهم كانوا بملابس مدنية احترازا لكل طارئ، ولم يحملوا حتى الهويات الخاصة بمنتسبي وزارة الداخلية، إلا أن صرخة أحد الدواعش: (هؤلاء شرطة)؛ لم تكن بالحسبان، فانزلوهم من السيارة الخاصة التي يقلونها وكانت لأحدهم، وقيدت أيديهم ونقلوا الى جهة مجهولة حسب ما أدلى بعض ممن اوقفوا في تلك السيطرة، لكن شاهد آخر من عناصر داعش الذي ألقى عليه القبض فيما بعد وتم التحقيق معه ذكر حكايتهم قائلا: أوقفوهم أمام أحد أمراء داعش المكنى (أبو عبيدة) وقام بالتحقيق معهم، وأنكروا انتسابهم وأنهم ليسوا من الشرطة، إلا أن هذا لم ينفعهم بسبب

وجود شاهد أدلى بشهادته أمام المحكمة السورية الارهابية وقدم أدلته.

بعد أن أكمل الرد على مكالمة هاتفية تلقاها من أمير أعلى منه منزلة دموية، وهو أمير شيشاني، التفت الأمير مرة أخرى الى المتهمين بسلك الشرطة وأمر بتنفيذ عقوبة لم يعلن عنها في قراره، واكتفى بإشارة تشير الى اخراجهم من المكان، فاقتادوهم بعنف الى الخارج، ثم أوما برأسه الى الشاهد وهو مبتسم، وحين اقترب منه همس في أذنه، وحين سمع ماذا قال له ابتسم هو الآخر وانشرت سريرته وكأنه أستبشر خيرا، ثم انحنى طاعة الى الأمير وخرج مسرعا.

في مكان صحراوي زُرعت أربعة أعمدة حديدية وجيء بالأبرياء الأربعة مقيدین بسلاسل من حديد، وربط كل فرد منهم الى عمود، وكان قائد العملية هو الشاهد نفسه، حيث تبين أن أميره الداعشي حين همس بأذنه كان يملئ عليه طريقة تنفيذ عملية الاعدام، ثم جاء بقنينة وقود وصب عليهم الوقود من الحزام الى أسفل القدمين، ليستمتع أكثر بالمشهد، ثم أشعل فتيل نار وأحرقهم من أقدامهم، فارتفعت النار الى صدورهم ثم الى

رؤوسهم وهو ينظر منتشيا هو ومن معه، لتشوي النار أجسادهم وكأنهم ذبائح، في مشهد مرعب تم تصويره، وقد وثقت كاميرات العصابة الارهابية مشهد الاعدام المروع وبث عبر موقعهم الخاص، ثم أكد أحد رعاة الأغنام الذي شهد بعينه تلك المؤدبة التي أعدتها عصابة داعش الى الوحوش التي اجتمعت ليلا على رائحة الشواء.

سمي المحتوى ب (حفلة شواء) وبعد بثه لأول مرة تلاقفته بعض الوسائل الاعلامية ومنصات التواصل الاجتماعي لينتشر بسرعة فائقة، مما سهل مهمة مشاهدته ذويهم، فتسبب بكارثة انسانية أخرى في أسر المغدورين الأربعة، فقد أصيبت أم أحدهم بصدمة أودت بحياتها بعد شهقة واحدة لم تثنيها قط وهوت جثة هامدة، فيما أصيب والد الآخر بجلطة سببت له شلل نصفي أقعده بقية عمره على كرسي متحرك، فيما تعرضت بقية أفراد الأسر الى حالات مختلفة بسبب الصدمة ومنها أزمات قلبية وأزمات عصبية ونفسية.

على أثرها تم ترقية الشاهد الى رتبة (أمير دموي)، ومنح إمرة منطقة (أزويه) غرب الرمادي، فازداد جرما ودموية،

حيث قام بتهجير (١٥٠٠) أسرة، ومصادرة جميع أملاكها حتى السيارات وأثاث البيوت وكل ما يملكون، فاضطرت الأسر الى الترحل والسير عبر الصحراء باتجاه قضاء حديثة وبقيت العوائل لساعات طوال في الصحراء، في ظروف قاسية جدا وبدون طعام ولا شراب، حتى تناثرت العوائل على الطريق حسب قدرة كل عائلة من المواصلة سيرا على الأقدام، وبقيت أضعف العوائل متأخرة خاصة من لديها مرضى وكبار سن، وحدثت حكايات مؤلمة وموجعة جدا، خاصة مع الاطفال، فكانت الأسر تفقد طفلا بعد الآخر بسبب حالات الظمأ التي تعرضوا لها في جوف الصحراء اللاهب، حتى بلغ عدد الأطفال الذين قضوا ظمأ ١٨ طفلا بأعمار مختلفة.

تجرعت الأمهات موت أطفالهن جرعة تلو جرعة، بدءا من البكاء طلبا للماء مرورا بالغثيان وتيبس الفم من شدة العطش، الى الدقائق الأكثر عنفا على قلوب ذويهم جميعا، فيهلك الطفل بين يدي أمه التي ترميه فزعا في حضن أبيه ميتا وكأنها تظن أن لديه حلا لإنقاذه، ولكل طفل منهم حكاية تشيب لها الرؤوس، وتدمي الأفتدة، وكل المشاهد تلك في عين الله، وهو القائل لعبده

المظلوم (وعزتي وجلالي لأتصفن لك ولو بعد حين)
كما أن الكبار لهم نصيب من الموت وبمشاهد موجعة أخرى
رغم أنها أقل وجعا من مشاهد هلاك الأطفال، حتى ماتت امرأة
كانت تعاني من ضيق في التنفس بسبب (الربو) بعد نفاد علاجها
الخاص، وكانت تشهق بصوت عالٍ بحثا عن الهواء ولم تجده، في
حالة أبكت ولديها وبتتها دماً عليها، وهم يشاهدون أهمهم في
هذا المصاب والموت البطيء حتى قضت بين أيديهم ودفنت في
البيداء بلا غسل ولا كفن. أما الحاج (أبو سامر) فقد عاش أزمته
القلبية ثلاث ساعات متتالية وبعدها سلم أمانته إلى ربها شاكية ما
تعرضت له من ظلم.

وصلت طلائع الأسر إلى قضاء حديثة مما أدى إلى محاولة
إسعاف بقية العوائل التي لم تصل بعد، حيث خرجت عدة
سيارات يقودها جمع من الشباب وتم نقل العوائل بعد أن
سقي كل فرد منهم جرعة واحدة من الماء خوفا على حياتهم،
أما الجرعات الأخرى فقد جاءت بالتدريج، وعند وصولهم
تم إسعاف المرضى ومنهم وصل وهو في اللحظات الأخيرة من
النزع، إلا أن مشيئة الله أعادت له الحياة.

صرخة

في وضح النهار وفي اليوم الأول من شهر رمضان سنة ٢٠١٤ ذهبت طفلة بعمر (الثامنة) الى أحد محلات البقالة القريب من بيتها لتتبع ما تحتاجه العائلة، فاعترضتها عصابة تتكون من أربعة أشخاص، واقتيدت الى مكان مجهول بحجة مخالفتها للأنظمة الداعشية الخاصة بشهر رمضان والتي صدرت مؤخرا، وعند تأخرها خرجت أمها تبحث عنها فوقعت هي الأخرى في ذات الشبكة التي اصطادت ابنتها وب الذريعة نفسها اقتيدت أسيرة ذليلة لا تعلم الى أي ظلمة متوجهة، وعند وصولها الى المكان المعني، رأت ابنتها كسيرة متكورة على ذاتها، فصرخت مذهولة، فصفعها أحدهم على وجهها أدمى فمها وهي صائمة، فانحنت باكية واحتضنت ابنتها بقلق قاهر وتوتر شديد.

قُدِّمت ليلا الى الأمير الشيشاتي هي وابنتها، فأمر أن تعمل الأُم خادمة في بيته لمخالفتها الأوامر، أما الفتاة عليها أن ترافق

أحد النساء الداعشيات لتجهيزها عروسا الى الأمير، وهنا جن جنون الأم وصرخت باكية: ابنتي طفلة لم تدخل سن التكليف فكيف لك أن تتزوجها هذا حرام حرام حرام، هذا اغتصاب وليس زواجا، فأوما بصر فها عنه واسكاتها، غيبت عن ابنتها التي بقيت عيونها تلاحق خطوات أمها في ريبة وذعر.

بحثت نظراتها في المكان عن شخص يمنحها شيء من الشفقة أو جذوة رحمة فلم تجد، شعرت أنها ستقاد الى المسلخ، وهو مسلخ حقا، سحبتها الداعشية المكلفة بها من يدها بعنف ودخلت بها الى أحد الغرف وهي ترتعش خوفا، وبعد ساعة خرجت الداعشية وهي مبتسمة بوجه الأمير كما يسمونه، فنهض منتشيا ودخل الغرفة وغادرتها هي ليختلي بالفتاة، فأمست تلك الفتاة غضة الجسد كضبية بين مخالب سبع ضارٍ جائع، سمعت الأم صراخ بنتها ولم تستطع فعل شيء سوى النواح واللطم على الوجه.

عند الصباح أحضرها الأم أمام الأمير الشيشاني وهو منزعج من صراخها قائلا: صدعت رأسي بصر اخك على أبتك، كنا نريد أن نخفف عنك العقوبة، إلا أنك وهي لا تستحقن منا ذلك، فلم ترد عليه سوى بنظرات مقهورة وحسرات مخنوقة، ثم شاح

عنها بوجهه قليلا كأن في عينيه كلام آخر فيه ما يدمي القلب، ثم عاد والتفت لها مكملا قوله: إذا كنت تريدين ابنتك فسيأخذونك لها، وغادر المكان مع إشارة فهمها أحد العناصر الذي أوكلت له المهمة على ما يبدو.

أركبها بسيارة (بيك أب) وهي تصرخ أين ابنتي، وعند باب دارها أنزلت وصدمت حين أنزلوا جثة من حوض السيارة الخلفي ووضعت في الأرض عند الباب وغادروا بسرعة، وحين رفعت الغطاء وجدت ابنتها ميتة، فقد قضت نجبتها تحته، لطمت الأم على وجهها وسمع الناس صراخها واجتمعوا حولها وهي في ذلك الحال المريب الذي ترعد به مفاصلها وتذرف جفونها دما، بادر الناس الى تجهيز الفتاة اليتيمة ودفنت جنب أبيها الذي قتله عصابات القاعدة في الأنبار قبل (ستة سنوات)، وكتب على قبرها الشهيدة (سلوى الشمري).

بقيت (أم سلوى) أرملة مثقلة وحيدة وسلوتها البكاء في بيت موحش، ومع كل ما تعرضت له من ظلم منعت عصابات داعش الدخول لها ومواساتها وحذرت الجميع من ذلك، غير أن جارها طلبت من أحد أولادها فتح ستارة البيت المطل على بيتها من

السطح ودخلت عليها وقدمت لها ما تحتاجه، إلا أن ذلك لم يدم طويلا فقد أخذ الحزن منها مأخذا، وفي يوم السادس من شهر شوال للسنة نفسها، حلقت روحها ملتحقة بمن سبقها الى الله ورحمته. كما أصدرت داعش قرارا بحق من لا ينتمي الى داعش فصيامه باطل ويعد من النفاق ويستحق العقاب ب(الكبي) بواسطة قضيب حديدي بحمى على النار، وتكتب كلمة (منافق) على ظهره بالقضيب الملتهب ذاته، وبحجة مخالفة هذا الامر تم اقتياد العديد من الأهالي ممن رفضوا الأتماء الى التنظيم، ونفذ عليهم الحكم بكل قسوة، حيث يربط الرجل منهم على خشبة محتضن لها، و تمزق ثيابه من الخلف ويتم الاجراء بعنف قاهر، حتى قضى شابين منهم بسبب شدة الكي والتهاب الدم، ونجى الآخرون باعجوبة بعد مداوات دامت أسابيع، فقد حولوا شهر الرحمة والغفران الى شهر رعب وظلم وموت واغتصاب.

بعدها أفتى بأمر آخر وهو اغلاق المحال التجارية وغيرها في العشرة الأخيرة من رمضان بحجة التفرغ للعبادة، ولأن الأمر لم يعلن عنه فقد وقع أغلب أصحاب المحلات في الخدعة واقتيدوا للعقاب وهو الحكم بالحبس مدة ينتهي أجلها بعد عيد الفطر،

مع مصادرة بضاعة محلاتهم بالكامل، وجاء العيد كئيبا مرتديا جلاب الحزن، بعد شهر صيام لم يجد فيه الصائمون عند الافطار ما يأكلونه بسبب الاجراءات التعسفية والحصار المفروض اقتصاديا واجتماعيا، وانتهت أيام العيد ولم يخرج المعتقلون إلا بعد خمسة عشر يوما.

جلباب الشيطان

حين ترتدي الجريمة وجوه عديدة، وتلبس كالشيطان في أجساد معينة من بني البشر، مرة تكون هي من تحمل اغواءً شيطانياً تجتاح به عقلية من تشاء وترتدي جسده جلباباً، وتارة تكون هناك أجساد هي من تجند أحد أعوان الشيطان ليتلبسها كونها جاهزة ومن بذرات الشيطان نفسه، لا أدري من تلبس بالآخر المدعو (علي عبد الله بكري الجنابي) المكنى (أبو علاء) كما ترغب عصابات داعش أن يناديه تلبسه الشيطان، أم هو من اغوى الشيطان فاتخذه ولياً لينفذ كل ما تهواه نفسه الأمانة بالجرم، وهو في سن الخامسة والعشرين لا أكثر، وجدته عصابات داعش الشخص الأكثر ملائمة لينفذ جرائمها ضد الإنسانية ويكون هو الجندي الأكثر وفاء لهم والأكثر خيانة لشعبه ووطنه.

كل ما ارتكب جريمة اندفع أكثر للبحث عن أخرى، ودعته نفسه الشريرة الى أن يرتكب جرماً آخر، وهو لم يكن سوى فلاح

بسيط في منطقة السيد (عبد الله) في اليوسفية جنوب بغداد. لم يوفق بالدراسة واكتفى بالشهادة المتوسطة، وبدلاً من أن يزرع الأشجار والمحاصيل الزراعية أصبح محترفاً بصناعة الموت من خلال زراعة العبوات الناسفة، وكلما زرع عبوة وفجرها في الوقت الذي يريده ينتشي فرحاً وكأنه حقق انجازاً عظيماً.

تولى مهمات عسكرية كثيرة بعد أن عقد حلفاً مع عصابات داعش الارهابية، منها إمرة كتيبة (الفاروق) ضمن قاطع (الحمزة) في ولايتهم (المزعومة)، الكتيبة التي استتهدت العصابة وكلفته بإمرتها رغم أنه شاب صغير من مواليد ١٩٩١ لكنه الشاب الأكثر جرماً ووحشية، تمكن من زراعة عشرات العبوات الناسفة في ضواحي بغداد على طريق أبي غريب واليوسفية واللطيفية ومناطق أخرى راح ضحيتها المئات من المواطنين بين مدني وعسكري، وكان يصور لحظات الانفجار ويأتي مع الناس التي تهرع الى الحادث ليحصى عدد قتلاه وعيونه تشرق فرحاً كلما ازداد عدد الضحايا، وينشرح أكثر حين يرى الجثث اختلطت فيما بينها بسبب العصف المدمر الذي يحدثه الانفجار، ثم يعود الى مقره في عش الشيطان ليعيد عرض ما التقطته كاميرته لينتشي

أكثر وهو يتفرج على الجثث المقطعة والعارية.

لم يكتف بزراعة العبوات بل تمدى أكثر في الجريمة، وأصبح الداعشي الأكثر شهرة في تجهيز السيارات المفخخة وتسييرها الى ضواحي بغداد، ومنها الى قلب العاصمة، وكل مفخخة تعصف بأرواح العشرات وأحيانا المئات خاصة إذا كانت في سوق أو في مستشفى، أما إذا كانت في مدرسة فذلك العصف الأكثر قفطاً للأرواح البريئة، وكل ما تمكن من تفجير سيارة أو عبوة أقام حفلاً خاصاً، وأحيانا يقيم مأدبة طعام كبرى على شرف أمراء داعش وأعوانهم، كأنه لا يملك قلباً أو أنه لديه قلب ولكنه من حجر، ويعرض لهم على الشاشة مجازره لينال أهمية أكثر ويرضي عنه أولئك الغرباء من الشيشان وغيرهم الذين دخلوا البلاد ناقلين، وما هم إلا زمر من مافيات ارهايية قدرة تستخدم لأغراض سياسية عالمية.

تمادى أكثر حتى أصبح يمارس عمليات الخطف والاعتصاب، وبلغ عدد ضحاياه في الاعتصاب حصراً تجاوز العشر فتيات، وأغلبهن من طالبات الجامعات والمدارس الاعدادية في مناطق ما بين شمال بغداد وجنوبه، بعد أن ينصب سيطرة لسيارات الخطوط

التي تنقل الطالبات، فيختار واحدة من بينهن بأي حجة يختلقها، وبعد أن يقضي معها وطرا يقتلها حتى لا يبقى أثرا لبصمات جريمته، وكانت لاحداهن حكاية حين صارعته بقوة وقاومته بكل بسالة، حتى إنها بصقت بوجهه بعد أن أسقطته بضربة دفاعا عن شرفها وأعز ما تملكه أي فتاة بكر، ولأنها أغضبتة فقد نهض مزجرا واختار لها طريقة بشعة جدا للانتقام لنفسه منها، حيث استخدم الحربة في اغتصابها، وماتت فورا بعد الطعنة تلك والنزف الشديد، وكان يتلذذ في تعذيبهن أثناء الاغتصاب، وينتشي أكثر حين يرى الدم على وجوههن من أثر أنيابه حين يلتهم وجوههن بعنف، وقد ظهر ذلك جليا في الصور التي التقطها هن والتي كانت سلوته في ساعات لم تكن معه محتطفة، وفي الوقت نفسه يعتبر تصفح الصور دافعا للبحث عن فتاة يضيفها الى سجله في هذا النوع من الفواحش، وبعضهن يسيقها هدية الى أحد أمراء الرذيلة والفحش، وذلك لأن ماضيها ملوث كونه شخص فقد فحولته منذ صغره، لذلك بقي بلا شرف ولا يمتلك غيرة ولا ذرة من الأنسانية، لهذا انتهك أعراض الناس دون مبالاة وبلا شفقة، حتى عاش حياته بلا ضمير، عبارة عن وحش مفترس

لا أكثر، وكلما ارتكب جريمة ازداد وحشية لدرجة أنه قتل عدة أشخاص ممن يعملون معه وتحت إمرته، ومن المقربين له، بعد أن راوده الشك أنهم قد يخونونه.

تمكن من أن يجمع ثروة مالية كثيرة، كلها من عمليات النهب والسلب، والمساومة مع ذوي المخطوفين على مبالغ حصدها منها ملايين الدولارات، كان يعيش عصره الذهبي حسب ظنه، ولكن خفي عليه ما أخفاه الله والقدر له، وفي يوم ١٠/٦/٢٠١٦ القى القبض عليه جهاز الاستخبارات وهو يزرع عبوة ناسفة على طريق أبو غريب، بعد متابعته ثلاث سنوات، كونه شخص ذاع صيته خاصة بعد أن انكشفت للأهالي في المنطقة أسماء جميع أعضاء العصابة الارهابية، وفي أثناء التحقيق معه من مديرية الجرائم في بغداد اعترف بجرائمه بكل صراحة وجرأة، حتى قص كل قصص الاغتصاب مع كل واحدة منهم، وكذلك طريقته مع كل فتاة اغتصبها، وقد دونت كل الأفعال والجرائم التي ارتكبها وسيرت القضية الى القضاء.

لغة السكين

عاش حياته يتيم الأب منذ طفولته، ربه أمه الفلاحة التي كانت تعمل ليل نهار لتوفر له وأخوانه لقمة العيش، حتى نشأ وعمل معها في الزراعة وتربية الحيوانات، والعمل في مفاخر الطابوق تحت شمس الصيف الحارقة، ونشأ صلبا ومتفوقا على أقرانه وأخوته، وكان شابا طموحا رسم لنفسه طريقا كان يخطط له ويسر ذلك في نفسه منذ صغره، وكلما تقدم مرحلة دراسية سُرّت به أمه، حتى تمكن من أن يجتاز المرحلة الإعدادية الفرع العلمي بتفوق وبمعدل أهله للقبول في المجموعة الطبية، وكان خبر قبوله فرحة عمت المنطقة التي يسكنها وهي قرية من قرى ناحية الجدول الغربي في مدينة كربلاء تسمى الجدار الشرقي.

لم تتمكن أمه الاستمرار في العمل والكد من أجله وبقية العائلة، وذلك بسبب إصابتها في مرض عضال أخفت آلامها عدة سنوات حتى انهارت صحتها تماما، وهنا أصبح بين أمرين،

بين دراسته وتحقيق حلمه، وبين مرض أمه، ولأنه شاب طموح قبل التحدي وسار في الطريق، وبدأ يجهد نفسه في العطلة الصيفية ويعمل ليل نهار في (مفخرة الطابوق) الخاصة به هو وإخوانه والتي أنشأها في أرض تناسب صناعة الطابوق الذي تنتجه المفخر، وهي عبارة عن معامل طابوق مصغرة ووقتية، وقطعة الأرض كانت في نهاية الأرض الزراعية التي يملك نصفها كون والده من غرسها وأصبح شريكا فيها، فيدخر لدراسته وعلاج والدته في آن واحد، وكانت أمه تنظر له بعين الأمل المنشود والوسيلة الطبية التي يمكن من خلالها تجاوز محنة سقمها الذي كان يهدد حياتها في كل حين، أما أخوته فكان في نظرهم الاشراق المأمولة التي تبشرهم بصبح جديد.

مرت سنين الدراسة الجامعية في كلية الطب تحت ضغط كبير لا يطاق، وكانت تسير ببطيء شديد وسط معاناة شديدة كانت تهدده بالتوقف عند كل منعطف، ولكنه تحمل كل تلك المصاعب وحقق حلمه وتخرج طبيبا، ففُرت عيون أمه وأخوته به وفرح جميع محبيه، وأكمل الخدمة الالزامية في زمن المقبور صدام، وتم تعيين (يوسف علوي الحسناوي) طبيبا في المستشفى الحسيني في

كربلاء، ومرت سنوات وهو يمارس مهنة الطب ويعالج مرض أمه العضال الذي استنزفه كثيرا، وقد تزوج من فتاة أحبها، وشعر بالسعادة معها بعد أن حقق حلمه.

ولأن الطموح لا حدود له فكر في التقديم على الدراسات العليا في كلية الطب في جامعة الأنبار، وباشر دراسته هناك، وسكن في أحد الفنادق فيها، إلا أن الطائفية بدأت تنشط في المدينة وأصبح القتل على الهوية أحد سمات الحرب التي قادتها عصابات القاعدة في الأنبار، ومن ثم أكملت المهمة العصابات الداعشية، ولأنه طبيب لا علاقة له في السياسة وكل طموحه أن يقدم خدمته الأنسانية بشرف ومهنية، فلم يفكر بأن يكون في يوم من الأيام هدفا لعصابات داعش التي هيمنت بالكامل على الأنبار والرمادي والفلوجة وضواحي بغداد. وفي أحد الايام وبعد عودته من الجامعة الى الفندق تفاجأ بمداهمة الغرفة التي يسكنها من قبل جماعة مسلحة ترتدي الزي الأسود وملثمة، اقتادوه بعنف وأخرجوه من الفندق الى محكمتهم الدموية، ليحكمه القاضي الشيشاني بالاعدام ذبحا بالسكين، واقتيد الى مصرعه محتسبا لم تشفع له مهنته الأنسانية الطبية بشيء، هناك في

مجزرة التنظيم الارهابي كان للسكين حوار مع منحره وذبح من الوريد الى الوريد، وفصل رأسه عن جسده بطريقة بشعة تقشعر لها الأبدان، وفيها قمة القسوة والوحشية، حدث ذلك بداية عام ٢٠١٤ في ذروة الهيمنة الداعشية وقبل صدور فتوى الدفاع الكفائي.

عَلِمَ أهله بالخبر من خلال طلاب كانوا معه، وكان الأمر غاية في الصعوبة، فكيف يمكن اخبار والدته التي تعاني من مرضها الذي سلبها العافية وأنهاك جسدها وأفقدتها الجرعات الكيماوية المناعة، رغم أن الخبر وقع كالصاعقة على زوجته التي أنجبت منه (زهراء ومصطفى وسرى)، الذي أيتهمم التطرف الأعمى، ولكن لا بد من اخبار أمه بطريقة قد تكون الأقل وقعا، فتجرعت مرّ المصيبة وفقدت وعيها بعد شهقة طويلة، نقلت على أثرها الى المستشفى وهناك تلقت رعاية كافية في العناية المركزة من قبل زملائه الأطباء في كربلاء، وبعده لم تدم طويلا فارقت الحياة. بواسطة أحد الخيرين تم اخلاء جثة الطبيب مع الرأس المقطوع من الأنبار الى كربلاء ليتم تجهيزه ودفنه في مقبرة كربلاء، لم يشهد المشيعون وخاصة من حضر تغسيله ذلك المنظر من قبل

فقد أدهشهم وأفرح جفونهم، وقد لاقى صاحب المغتسل صعوبة بالغة في التغيل، خاصة في وضع اتجاه الرأس مع اتجاه الجسد، وتغير اتجاه الرأس كلما استوجب ذلك مع الجسد، والغاية سلامة التغيل بصورة شرعية صحيحة.

لم يكتف مجرمو داعش في جريمة واحدة بل تعددت جرائمه في الأنبار، فقد حكم بالذبح أيضا على مجموعة من طلاب جامعة الأنبار من مختلف الكليات، منهم من كان من طلبة البكالوريوس وآخرين من الدراسات العليا، وعلى أثر ذلك توقف الكثير من الطلاب عن اكمال دراستهم خوفا من بطش هذه العصابات خاصة طلاب المحافظات، إلا أن هناك طلابا غيبوا تماما، ولم يعرف عنهم شيء لحد الآن، وفي يوم ٢٠١٤ / ٦ / ٧ تمكن بعض الطلبة من الهروب بالقفز من جدار مجمع جامعة الأنبار عند وصول مسلحين من داعش واقتحموا الحرم الجامعي، مما أثار الرعب في الوسط الجامعي، حيث زرعت العبوات الناسفة في أروقة الجامعة وسلب ونهب ممتلكاتها والسيطرة على المباني بالكامل، إلا أن القوات العراقية تمكنت فيما بعد من تحرير الجامعة من عناصر داعش وتفكيك العبوات الناسفة والمتفجرات الأخرى.

قفزة موت

في سيارته ال (بيك أب) خرج (محمود عبد الواحد) مهاجرا من مدينة الرمادي مع والديه وزوجته وأطفاله الثلاثة، حيث أجلس والديه في صدر السيارة، وزوجته وأطفاله في الحوض الخلفي، وذهب عبر طريق نيسي تراي، تسترا من عصابات داعش الارهابية، بعد أن علم بأنهم يبحثون عنه، وسبق أن داهموا بيته الذي وجدوه فارغا، كونه خرج منه قبل يوم وانتقل الى بيت أهل زوجته، إلا أن الأمر أصبح مريبا وعليه الخروج من المدينة نهائيا خاصة بعد أن علم بمداهمة بيته، وبنصيحة من والده قرر الهجرة نهائيا من المدينة، وهو في الطريق لاحقته مجموعة من عصابات داعش الارهابية، وكان يراقبهم من خلال المرآة خاصة بعد أن تأكد من أنهم يلاحقونه، بعد فترة من المطاردة استمرت نصف ساعة تقريبا لاحظ أنهم يقتربون منه كثيرا، فاضطر الى السير بسرعة عالية رغم أن الطريق فيه تعرجات كثيرة وفيه

حفر تفاجئه بين الحين والآخر، وكل ما زادت سرعتهم ضغط هو على دواسة الوقود أكثر، وسط تحذير من زوجته وصراخ أطفاله، استمرت المطاردة ساعة كاملة في الصحراء التي دخلها مرغما وكأنها ابتلعتة، فقد تاه بسبب السرعة والخوف من ملاحقة القتلة، حتى وجد نفسه يسير في طريق لا يعرفه ولم يسبق له أن سلكه مبتعدا عن أي معلم يدلّه على اتجاه صحيح، لكن الوضع كان يتطلب أمر واحد فقط وهو الخلاص من العصابة التي تلاحقه بالموت.

وعلى الرغم من هذا التيه لكن الأمل ما زال حاضرا، وبقي يحاول المراوغة بين التلال المنتشرة في المنطقة، لكن سيارتهم (الحوثية) كما يسمونها أكثر متانة لاجتياز كل هذه العقبات، عكس سيارته التي أقلقته كثيرا كونها لا تطاوعه في حالات كثيرة، لم يتوقع أن ينجوا بعائلته لكن الاستسلام لا يتلائم وخطورة الوضع، كونه يعلم جيدا وحشية خصومه الذين يلاحقونه خاصة وأنه اتعبهم بمهاراته في القيادة التي تفوق بها عليهم رغم ضعف متانة سيارته.

لم يتوقع أن تحدث له مفاجأة غير متوقعة وهو في سرعته

والعصابة اقتربت منه كثيرا قفزت بنته الصغرى من حوض السيارة الخلفي بسبب حفرة قوية قفزتها السيارة بأعجوبة، حيث شاهدها من خلال المرآة طارت بالهواء وتحول ثوبها الى شراع وهوت على الأرض بقوة، وهنا بقي بين أمرين، إما أن يسلم نفسه وعائلته الى داعش وهنا الخسارة تكون كبيرة جدا، وبين أن يترك بنته لداعش، واختار الأخير رغم صراخ زوجته ومطالبته بالوقوف ولم يلتفت لها واستمر مسرعا حتى رأهم وقفوا عند الطفلة، حيث تحقق مصداق الآية الكريمة (بسم الله الرحمن الرحيم، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، صدق الله العلي العظيم) وهناك من على تلة لاذ خلفها وبقي يراقب الموقف بعد أن ترجل من السيارة ليرى ماذا سيحدث لبنته الصغيرة، شاهد نزولهم جميعا ووقفوا حولها لثواني معدودات ثم حملها أحدهم من أحد أطرافها ودار بها كما يدور لاعب رمي القرص وقذف بها في الوادي في مشهد وحشي ومرعب هدم كيان والدها، وبعد ذلك غادر الدواعش وبقي هو مسترا خلف التل لفترة، ثم شاهدته زوجته كيف انهار جسده وجلس على الأرض بسبب شدة الصدمة هرعت له باكية تسأله عن مصير

طفلتها فوشت عيونها لها الحال، فأجهشت في البكاء وقد التحق
بها والدته ووالده وأخبرهم بأن الدواش توقعوا عن الملاحقة
ورجعوا وعليه أن يعود إلى ابنته.

عادوا جميعاً إلى المكان الذي سقطت به الطفلة، وأوقف السيارة
في المكان وذهب راجلاً إلى الوادي يبحث عنها، وبعد فترة انتظار
العائلة عاد وهو يحملها جثة هامدة، أحاطوا بها وأقاموا عليها
مجلس عزاء أقرح الجفون، ثم استعجلهم الركوب في السيارة
وأخذ الجثة ومدها في الحوض، ومن ثم وقف عند تلة عالية ينظر
باتجاهات مختلفة ليعرف إلى أي اتجاه يسير، وبالعمق وقعت عينه
على دليل كشف له الاتجاه لكن على مسافة بعيدة جداً، انطلق
حاملاً قلقه وحزنه معاً، وسط كلمات تهدئة تلقاها من والده ذلك
الشيخ المُسن والذي يعاني من داء السكر وأزمة قلبية، كان يسير
بهدهوء عقب تلك السرعات العالية، لكن السيارة بدأ المحرك
يتغير صوته بسبب نفاذ الوقود الذي لم يحسب حسابه حين خرج
متخفياً ومتوتراً، وبعد دقائق معدودة انطفأ المحرك وشخصت
عيون الحيرة لدى الجميع، فبادر إلى الاتصال بصهره وتم الرد
وأخبره بما جرى له وطلب منه أن يسعفه بالوقود، إلا أنه لا

يعرف أين هو وفي أي بقعة من الأرض، وهنا وقع في محذور آخر لكن صهره كان أكثر هدوءا وحاول معه وصف المكان الذي انطلق منه وفي أي اتجاه سار أولا، طمأنه قليلا وقال له سأتيك وسأحاول العثور عليك إن شاء الله إطمئن.

انطلق صهره ومعه صديق الى محطة الوقود وتمكن بعد عناء وسط الزحام على الوقود أن يحصل على عبوة وقود، وانطلق بنفس الاتجاه، إلا أن وقت الغروب اقترب كثيرا وفي الوقت نفسه اعتبره فرصة لاستخدام أضواء السيارة للدلالة، وسار مسافة طويلة ومن ثم اتصل به وطلب منه تشغيل الإشارة المزدوجة كل عدة دقائق حتى لا يستهلك البطارية، وكذلك الضوء العالي (الرماش) وبعد ساعة ونصف الساعة تقريبا رأى من بعد الإشارة وانطلق صوبها، وحين وصل صدم بأمر آخر حين عثر عليهم أن الأب فقد الحياة لتعرضه الى أزمة قلبية، وضع جثة والده جنب جثة بنته وأكمل الطريق الى بغداد بعد أن تعرف على عائلة بدوية مكنته من أن يسلك طريق آمن وسط الصحراء ومنه الى طريق بغداد العام حيث دخلها ليلة ٥ / ٨ / ٢٠١٤.

لعمري

لا أدري في أي مكان وأين وقعت هذه الأسرة في الفخ الداعشي، إلا أنهم جاءوا بها الى الأمير خالد العنزي الرجل الذي حصل على مرتبة أمير بعد أن أكمل العدد المقرر في قطف الرؤوس، كأن أعناق البشر هي ثمن هذه المنزلة الخسيسة، كما أنه بلغ ضعفي العدد بعد هذا التقليد الذي لم يسبق له مثيل في الكرة الأرضية مذ وطأتها قدم نبي الله آدم ﷺ، هي وزوجها وطفلتها البالغة من العمر ستة أشهر هكذا أخبرني تلك الجميلة الفاتنة، التي أذهلت الأمير خالد وغيرت كل أنظمتها العقلية، رغم أنه مجرد لعبة في أيدي أسياده المرتزقة ومخترقة لأنظمتها الفكرية بالكامل، لكنه هذه المرة تكون في رأسه أمر ما وهو ينظر لها تارة وفي أخرى ينظر لزوجها الذي تبدوا عليه سمات الثقافة والوسامة.

كنت على مسافة أقف وقلبي بدأت ضرباته تتصاعد وأنا أنظر الى هذه العائلة المتوجة بالسؤدد والبهاء، فهذا الرجل الداعشي

القدر خِلقة وُخلقا بدت عليه علامات مآرب أخرى، وبعد صمت طال دقائق، نهض من مكانه وكأنه وجد ذريعة ليحقق هدفه، فتوجه الى الشاب سامر الذي عرفت اسمه فيما بعد من زوجته لمى وفتح معه حوارا اختلقه بلا سبب، بعد أن أمر بعزل زوجته وطفلتها في مكان آخر في غرفة كانت على يمينه، تلك الغرفة التي أعرف ما فيها لذلك أيقنت أنه سيفعلها، ورغم أنه يمكن له أن يقرر ما يشاء وفعل ذلك مرات عديدة، إلا أنه اختار الحوار الساذج هذه المرة وتوجه لسامر قائلاً:

- هل تعلم أنك كافر ويجب معاقبتك..؟

بدت على سامر علامة السخرية المصحوبة بالقلق من طريقة الحوار، ولأنه وقع في شك من أن هذا الدنيء وضع زوجته في حسابات نفسه الأمانة بالسوء، وفي مرمى عينيه الوقحتين، لذلك كان يرد بلا مبالاة من بطشهم وبوعي عال وكان يظن أنه قد يشني خالد مما يدور في ذهنه، فرد قائلاً:

وكيف عرفت أنني كافر وما هو دليلك..؟

ها هي زوجتك مكشوفة الوجه وهذا محرم في الاسلام، وهو دليل أنكم لستم مسلمين وإن تدعون ذلك، وإنكم ضد الدولة

الاسلامية.

قُلْتَ محرم أليس كذلك؟ ولماذا تطيل النظر لها إذن، أليست
محرمة عليك بما أنها مكشوفة الوجه، وبأي حق تعزل زوجتي
وطفتي عني؟

لا أريد أن يطول وقوفها أمام الغرباء.

طيب وما هي جنائتنا لتقطعوا علينا الطريق وتأتون بنا الى هنا
كأننا مجرمون؟ وها نحن لا نعلم أين وفي أي مكان؟

الظاهر أن لسانك طويل ويحتاج الى قطع

ثم اقترب منه وعيناه تفيض خبثا، ومسك برأسه من الخلف

مخاطبا له:

هذا الرأس اليبس يجب أن لا يبقى في مكانه.. ولكن ممكن أن
يبقى لو قبلت بشرطنا الواحد يا كافر.

وما هو الشرط؟

قرب فمه منه وهمس بأذنه:

أن تطلق زوجتك وتنصرف حيا.

أنت مجنون حقا، كيف لي أن أطلق زوجتي أيها الأبله، أطلقها

لتزوجها؟ يا لسخرية القدر.

فأمسك بشعر رأسه ورمى به على الأرض، والتفت لحاشيته أن يأخذه، وقد جروه جرا لأنه تمسك بالأريكة القريبة منه، وكيف له أن يغادر وزوجته هنا، كما أنه علم مصيره وبدأ يصرخ: تبا لكم أريد زوجتي أيها الوحوش.

كرر هذا وصرخ بكلام آخر تصحبه بحة في الصوت، ولكنها ثورة مقهورة حشرة مخنوقة لا فائدة منها فقد قضى الأمر، إنه مقتول لا محال، وفعلا أبلغوا زوجته في الليلة نفسها بأن المحكمة أصدرت بحقه حكم الاعدام، وأنها أسيرة لدى الأمير، ويقع عليها ما يقع على الأسيرات في دولة الاسلام بحسب زعمهم.

لطمت وجهها وجرحت خديها بأصابعها حزنا على زوجها الذي أحبته حب زوجة مؤمنة مخلصه، ولديها منه جوهره رسمت بخليط من جمالها وجمال زوجها، طفلة كأنها ياقوتة، حاولت أن أقف جنبها وأخفف عليها عظم الصدمة، فأنا أسيرة أيضا أمرت أن أكون خادمة في بيت هذا الغول، ولأني مسنة يائسة بقي شرفي مصاناً، ولكن كرامتي خدشت بخدمة هؤلاء الكلاب.

مرت ليلة واحدة فقط حتى اقتحم عليها غرفة أعدت لها واغتصبها عنوة وهي لم تكمل عدة الوفاة، وبهذا فقط ارتكب

جريميتين، الأولى أنه دخل عليها غضبا عنها، والثاني أنها لم تكمل العدة، والأمر الآخر الذي زاد حزنها هو ابعاد طفلتها عنها، حيث كلفت بها امرأة أسيرة أيضا في مكان بعيد عن أمها.

بقيت تتوسل به كل يوم وهي كحمامة كسيرة فقدت كل شيء أن يعيد لها رضيعتها التي تورم واحتقن ثديها بالحليب، ولكنه يرفض بشدة، ومرت الأيام وجف ثديها بعد يأس وفظام اجباري، ولكنها بقيت تلح في طلبها تريد ابتتها، وكلما كررت الطلب ينفعل وفي أحيان كثيرة كان يضربها، ويهددها بالقتل لو كررت الطلب، إلا أن قلب الأم لا يمكن أن يسكن وפלذة كبدها بعيدة عنها وبلا سبب مقنع، لمجرد أنه يخشى أن يزعه بكائها وهو مع أمها.

بعد شهرين كاملة مرت وهي لم تياس مستمرة بتكرار الطلب وهي تبكي بلوعة وتتهجأ تأوهاتا، وهو يضحك أمامها دون مبالاة، في يوم خرج مسرعا بعد أن تلقى مكاملة أربكته كثيرا، وفي الوقت نفسه تعرضت المدينة الى قصف بالطائرات وتعرض بالأسلحة الخفيفة والمتوسطة، حين سمعت الرمي يقترب شعرت أن القوات الأمنية تقدمت وعلينا أن نتظر وصولهم، قبل أن يعود

هذا الغول، وعاد الأمل بعد يأس، واحتضنتها وبكيننا، ولا ندري هل كان بكاء حزن أم بكاء فرح، فقد اختلط الأمر علينا، ونحن في تلك الحالة تفاجأنا بدخوله ومعه زمرة واقتادها بالقوة وهرب بها في سيارة لأنه يعدّها غنيمته التي لا ثمن لها ويجب الاحتفاظ بها.

وصلت القوات الأمنية الى البيت بعد أن حرّرت مدينة الفلوجة ونلت حريتي ولكني لا أعلم بحال تلك الأميرة وبناتها التي وقعت أسيرة مقهورة بيد هؤلاء الظلمة الفجرة، كنت أتمنى أن أعرف أهلها ومن أين هم لأخبرهم عن أحوالها وما جرى عليها هي وزوجها، لكن للأسف كنا في شغل عن كل شيء سوى ما هي فيه من مصيبة وفجيعة تدمي القلب وتسلب الروح، خاصة وأني غير مسموح لي المكوث قربها والحديث معها سوى فترة الطعام الذي أقدمه لها وأعود أرفعه دون أن تأكل منه خاصة الأيام الأولى، المضحك المبكي أنني لم أعرف أسمها (لمى) لفترة غير قليلة، لمى العراقية السومرية التي لا يمكن أن تنسى حكايتها من ذاكرتي.

قيصرية

جاءوا كأنهما بلابل أحدهما يقود الآخر، مشرق الوجه ينظر لها كل حين والابتسامة ترسم لوحة حياة وأمل لغدٍ جميل، وهي ترد ووجهها نَظْرٌ باسمٍ، تتمايل قليلا لأنها مثقلة بحلم منتظر عند أحد أبواب الصحن، يريدون زيارة السيد محمد بن الإمام الهادي عليه السلام في مدينة بلد.

في الجهة الأخرى أقبل شبح يبحث عن مكان مناسب ينثر فيه جسده العفن، وكان ذلك الوغد مثقل بالموت، إلا أنها كانت تحمل الحياة، الكل كان منشغل بما يعنيه ولم يلتفت له أحد، حتى وقف في موقع كان الأكثر زحاما في الناس، في اللحظة التي رفع يده ليضغط على زر التفجير شعرت به، وفي اللحظة نفسها استدارت واحتضنت زوجها، وصرخ الموت في المكان وفي كل الأجساد، حيث دوى الانفجار وتناثرت الأشياء كما تناثرت الأشلاء. جاءت سيارات الاسعاف وسيارات اطفاء الحريق الى المكان،

فوجدوا المشهد مرعبا لدرجة لا يميزون بين أشلاء جسد وآخر فقد اختلطت الأجساد، نزلت من الاسعاف إحدى المسعفات مسرعة حيث انشغلت بشيء غريب وحركة بالقرب من امرأة أصيبت بجروح بليغة وحروق وفي أنفاسها الأخيرة، وحين وصلت وجدته جنيناً في رحمها يرفض برجليه كأنه يريد من يستخرجه من ذلك الكيس الذي تدلى من بطنها، لم تترث بادرت فورا الى سيارة الاسعاف وأحضرت مشرطا وفتحت الرحم وأخرجت الطفل منه حياً بمشيئة الله تعالى حيث وجدت الأم قد فارقت الحياة، قطعت حبله السري وعقدته ولفت انتباهها شاب بالقرب كان مصابا وينظر لها دون أن ينطق كلمة، نادى على زملائها بأن يحملوا الجريح وهي حملت الطفل عريانا، ولفته بما تيسر لديها من قطع شاش وقطن، وتحركت سيارة الاسعاف مسرعة الى المستشفى، وهناك أكملت الاجراءات الأخرى للطفل الوليد.

شعور غريب كانت تشعر به صوب هذا الطفل، تحنوا عليه بحنان أم، لدرجة لفتت انتباه جميع العاملين معها، مرت سبعة أيام ولم يأتي لهذا الطفل من يسأل عنه ولا لهذا الشاب الجريح، ازداد شكها بأن هذا الشاب هو والد هذا الطفل، إلا أنه لا يتكلم وما

زال تحت تأثير الصدمة على ما يبدو، إلا إنه يهم أحيانا بالسؤال عن الطفل ثم يتراجع، خاصة حين تأتي به بالقرب منه، يتسم قليلا حين ينظر له، ثم يتغير لونه فجأة ويجهش بالبكاء، ولأن أمره مثير استشارات طبيب مختص في الطب النفسي فاستجاب لطلبها وراقب الشاب، وأخبرها أن في عقله يقين أن هذا ولده، لذلك تحدث معه الحالتين، الفرح والحزن في آن واحد.

بعد فترة شفيت جروحه تماما وخرج من المستشفى بغير علم أحد، وبقي الطفل مع المسعفة التي بدأت تنجذب له كثيرا وتهتم به وبموافقة من مدير المستشفى حصلت على مأذونية أن تصحبه معها الى البيت كل يوم بعد انتهاء مناوبتها، فانشغلت به كثيرا وزاد شغفها به، وبنت آمالها عليه بعد أن استحسّن زوجها الرأي الذي عرضته عليه هو وأمه، وهو تبني الطفل في حال لم تأتي عائلته.

بحثت عن الشاب في كل المدينة وسألت عنه فلم تحصل على خبر يدها عليه أو على أهله، وساعدها في ذلك زملائها أيضا، الأمر كان غريبا، حتى أن الأخبار كانت مجرد تكهنات، منهم من يقول أن العائلة عابرة سبيل، وآخرون قال محتمل كانوا زائرين، والكل اتفق على أن تترك القضية للزمن عسى أن يجد لها حلا.

بعد شهر قدمت المسعفة طلبا الى الجهات المختصة لتحصل على موافقة تبني هذا الطفل واصدار بيان ولادة له باسمها وزوجها، ونالت ما تريد وغمرت الفرحة كلاهما، وأسمياه منتظر، وبعد مرور سنة على ولادته احتفل الأبوان بعيده الأول الموافق يوم ٧/٧/٢٠١٦، وعاش في كنف هذه العائلة التي قدمت له كل شيء عزيزا مدللا.

بعد سنة وستة أشهر وهي في المستشفى لمحت شخص يشبه ذلك الشاب بين المراجعين، ولأنها كانت منشغلة بأحد المرضى تأخرت قليلا، وبعدها خرجت مسرعة تبحث عنه فلم تجده، وبقيت في حيرة وبدأ القلق يسكن تفكيرها، وقصت القصة على زوجها فقال لها أن الناس تتشابه لا تشغلي بالأمر، ولكنه في الوقت نفسه انشغل فكره هو الآخر ولكن حاول اخفاء الأمر على زوجته، وفي اليوم التالي التقت به وجهاً لوجه فوقف كل منهما ينظر الى الآخر، حتى بادرت هي قائلة:

ألست أنت من كنت ... فقاطعها:

أنا هو وجئت أبحث عنك لأشكرك على ما فعلت معي ومع
أبني، هل بقي حيا لحد الآن..؟

تلعثمت قليلا فاستدرك الأمر هو وبادر في سؤال آخر
أما زال عندك؟

هزت برأسها دون كلام

أين هو..؟

إنه في البيت عندي وبصحة جيدة والحمد لله، وأسميته
ممتنظراً، هل تريد أن تراه؟

نعم وكلي شوق لرؤيته

انطلقا بسرعة الى البيت وفي الطريق اتصلت بزوجها وأخبرته
بالموقف فحضر هو الآخر، وحين رأى ولده احتضنه وشمه باكياً
وسط أنظار العائلة، فبادرت الجدة قائلة:

كنا فرحين به، فقد حرمنا من الذرية وظننا أنه عطية الله لنا.

فالتفت لها بنظرة تأمل أعقبها صمت ثم أفصح عما في داخله،

خاصة حينما شعر بحب العائلة للولد قائلاً:

هو لكم كما أراد الله، فأنا مسافر الى البلد الذي عشت فيه أنا

وزوجتي رحمها الله، كنا نريد أن يولد في العراق ويمنح الجنسية

العراقية لذلك جئنا، وقدّر الله وما شاء فعل سبحانه وتعالى.

فرحت العائلة وشكرته ودعت الله أن يفتح له ويرزقه بزوجة

وذرية صالحة

مشاكسة شيشانية

كانت ليلة حالكة الظلام والوقت في ساعته الثانية بعد منتصف الليل، رفاقي الجنود راقدون والشارع قليل السابلة بسبب البرد القارص، ثم جاء السماء بمطر خفيف مع رعد متقطع، أما زميلي الذي يشاركني حراسة السيطرة فقد سكن قليلا الى النوم على مسافة مني، حيث أوقد ناراً ليتدفأ بها. لا أدري لماذا كنت قلقاً وحذراً أكثر من كل مرة، في أحيان كثيرة كانت هناك حوارية لي مع قلبي، أحاطبه كلما ازداد نبضه:

- لا تخيفني دعك من هذا النبض المقلق لي، لا توجد أي علامات أو مبررات لهذا النبض المتسارع، لا داعي لهذا الهديان المثير للهواجس

كأنه يقول لي: لا ترى ما أرى، ولا تشعر بما أشعر به فأنا كتلة مشاعر يا صديقي أخشى أن يأتوك غدرا، وهم يزحفون

كالأفاعي ليأخذون منك أعز الأشياء لديك
وأي شيء هذا الذي تقصده أيها القلب المستفز والمستفز.
هو أنت كلك وليس كلك، هو..
قاطعته قائلاً:

- لا تكمل أرجوك، ما زلت أنتظر ذلك الوقت الذي أتزوج
فيه من خطيبتى التي تنتظرني، كذلك لا تنسى أنى وحيد لأمي
الذي غزى رأسها الشيب وكل ما تتمناه أن تراني عريسا.
وأنا في تلك الحوارية المجنونة ازداد البرق والرعد
وأصبحت أكثر قلقا وتوترا فأنزلت اللوم على قلبي لأنه ساهم
بشكل قوي في ما أنا فيه، شعور لأول مرة أشعر به يغشيني بكل
جرأة وأنا الشجاع الذي طالما مررت بمواقف شديدة ولم أسمع
نبض قلبي أبدا، أشعر أنه يزلزل كياني ويخترق كل مفاصلي، يا
لها من ليلة غريبة في كل شيء.

الرعد والبرق ساهما في ادخال الخوف في عقلي، وبات قلبي
ينبض بشدة، وكأنه يركل صدري ركلا، يا لها من ساعة فقد
كانت الأكثر استفزازا وإثارة، كلما نظرت من حولي لا أرى أي

شيء، ولا أسمع سوى هطول المطر، أما رفيقي فقد غرق في النوم وخجلت أن أفقده نومته، لأني أعلم أنه قد تعب كثيرا طوال النهار الفائت في إحكام سقف مبنى السيطرة حذرا من المطر.

شعرت أن المكان انشغل بأنفاس أخرى، كأنها حيوانات برية، أو أنها كلاب جائعة تبحث عن فضلات طعام كالعادة عند السيطرات العسكرية، وباتت الأشياء من حولي قلقة. وفي لحظة لا وصف لها جاءت فوهة مسدس الى رأسي تطالبني بالصمت، وأغلق أحدهم فمي فورا بلاصق، وآخر قيّد يدي الى الخلف، ثم اقتاداني وكل شخص منهما أمسك بي من جهة وهو ولا بي مسافة ثلاثمئة متر تقريبا، سمعت أن رفيقي قد أفاق وكان يناديني:

برير -... برير

وأحدهم سخر مني ومنه وقال لي ساخرا وشامتا:

لماذا لا تجيبه؟ لا يعلم بين يدي من أنت الآن.

أفاق الجميع على صراخه وهو يبحث عني ولا يدري

بأي اتجاه أنا، وبدأ الرمي العشوائي دون فائدة، كانت هناك سيارة تنتظر خلف الأحراش وفي حال وصولنا أركبوني عنوة وانطلقت مسرعة.

أدخلوني على امرأة شيشانية قيل أنها الأميرة، أوقفوني أمامها، رفعت نظرها لي وبقيت محدقة بي فترة وجيزة، ثم ضحكت ورفعت قهقهتها عاليا، وسط قهقهة أفراد العصابة الداعشية مجاملة لها، ثم قالت:

- هل أنت متزوج؟

لا كنت على وشك الزواج، فأنا خاطب

- يطيب لي هكذا أصناف من الشباب، أريد أن أشاكسهم

وأدعب مشاعرهم بطريقتي الخاصة.

ثم نهضت وقد بانث حربة في محزمها، وأمرتهم أن يربطوني الى عمود بالقرب، بعد أن سحبت شفرة عمليات طبية كانت على طاولة حمراء على يمينها واقتربت مني، ثم مزقت ملابسي بالشفرة برعونه وكأنها تريد أن تفرسني، وبضعت جسدي ثم استدارت الى الأمام وبضعت ووجهي ورسمت عليه خارطة

من دم، هدأت قليلا وبدأت تفكر بشيء ما أجهله، ظننت أنها ستكتفي بما افترسته لكنها اقتربت من جديد وجلست على ركبتيها أمامي وخلعت بنطالي وأجهزت على قتل ذكوريته بطريقة بشعة جدا بواسطة الموضع، صرخت عاليا ثم فقدت الوعي.

فقت عند الفجر وجدت نفسي على مسافة من السيطرة، حاولت أن أجمع قواي وأتقرب أكثر لعلهم يروني وفعلا تمكن أحدهم من أن يراني ويصرخ ويهرول نحوي وقد لحقه اثنان من الرفاق، حملوني الى السيطرة وأنا في حالة يرثى لها، لم أجهم على اسئلتهم التي كنت أعدها مجرد ترثرة والتزمت الصمت، وانتظرت حتى نقلت في سيارة اسعاف الى مستشفى الكاظمية في بغداد التي كانت الأقرب للسيطرة المؤقتة على شارع بغداد صلاح الدين وبعد عدة أيام من الرقود في المستشفى شفيت جروحي إلا ذلك الجرح الذي لا شفاء له، وخرجت بإجازة مرضية.

تمنيت لو أن تلك الشيشانية الداعشية قتلتني ألف مرة ولا

أبقتني مجرد شخصية جوفاء شخصية فقدت وجودها وكل ما فيها، فقدت صفتها الأهم وجوهر جنسها، كيف لي أن أحدث أمي وماذا أجيبها إذا ما سألتني أن استعجل الزواج؟
عشت في دوامة قاتلة بين الحياة والموت، وكنت في كل ليلة أرى تلك الشيشانية في المنام وأتوسل لها أن تقتلني ولكنها تسخر مني مبهتجة، وتلوح لي بخاتم الخطوبة التي أخذته حين بضعت أصبعي كله وكادت تقطعه.

بعد شهر من الصراع النفسي قررت أن أمثل دور المجنون وأبقى متخفياً خلف جنوني عن فضيحتي وأمنح خطيبتني عذرا لعله يخفف الصدمة عنها، أما أمي فصنفة مجنون أهون عليها ألف مرة من صنفة.

لعبة الوعي



المحتويات

١	صرخة طوز خور ماتو
٦	الحبل السري
١١	رغيف خبز
١٦	كرة قدم
٢٣	نطع حجري
٢٨	واقعة سبايكر
٣٣	فحيح الأفاعي
٣٩	بسملة السكون
٤٤	قنبلة شرف
٥٠	مرضعة أمري
٥٥	سجدة شكر
٦٠	أم الشهيد
٦٥	جيهان
٧٠	قفص النار
٧٥	لعبة الوعي
٨٠	سكين الذباح

- ٨٦ أم العراق
- ٩٢ حزمة بارود
- ٩٧ كلمة السر
- ١٠٣ شواء
- ١٠٨ صرخة
- ١١٣ جلباب الشيطان
- ١١٨ لغة السكين
- ١٢٣ قفزة موت
- ١٢٨ لُمى
- ١٣٤ قيصرية
- ١٣٩ مشاكسة شيشانية